مفهوم الابتلاء في القرآن الكريم

الدكتور: نصار أسعد نصار

كلية الشريعة

جامعة دمشق

الملخص

تواجه الإنسان خلال رحلته في الحياة الدنيا مصائب، وتلاقيـه آلام، فتـنغص حياتـه وتكدر صفوه، فلا يهنأ له عيش، ولا تطمئن له نفس.

فهذه دراسة لتلك الظاهرة التي رافقت البشرية منذ أن وجدت،فلا يستطيعون لها دفعـاً، ولا يجدون منها مفراً.

فما حكم هذا الابتلاء الذي هو من سنن ا ﷻ في خلقه، وما الحكمة منه، وما حقيقتـه بالنسبة لعلم ا تعالى، وما أشكاله وصوره وسر تنوعه، وما موقف المكلف منه، ومـا أسبابه وفوائده، وما أثره في الشخصية؟.

مقدمة

يمثل الابتلاء ظاهرة رافقت الخليقة منذ نشأتها، فا ﷻ ابتلى الملائكة ومعهم الشيطان، فنجح الملائكة في الامتحان؛ حيث امتثلوا الأمر فسجدوا لآدم عليه السلام، بينما عصى الشيطان ربه، فخسر الرهان ورسب في الامتحان، ثم امتُحن آدم نفسه عليه السلام، لكنه تاب بعد أن عصى، فكـان مـن الناجين. وهكذا لابد لسائل أن يسأل: لِم هذه المنغصات وتلك الأكدار في هذه الحياة؟ ولمـاذا تحل المصائب ويقع البلاء؟ وما حكمه؟ وما الحكمة منه؟ ولماذا النعم تُغدق على بعضـهم، بينما تنهال النقم على آخرين؟ وما سببه؟ وما فائدته؟ وما أثره؟ هذه الأسئلة لا بد لها مـن أجوبة.

الابتلاء لغة:

الابتلاء في اللغة : الاختبار والامتحان.

قال ابن منظور:

«بلوت الرجل بلواً وبلاء، وابتليته: اختبرته، وبلاه يبلوه بلواً، إذا جربه واختبره، وابتلاه ا : امتحنه... وبلي بالشيء بلاء وابتُلي، والبلاء يكون في الخير والشر، يقال: ابتليته بلاء حسـناً وبلاء سيئاً، وا تعالى يبتلي العبد بلاء حسناً، ويبليه بلاء سيئاً.

قال القُتيبي: يقال عن الخير أبليته: إبلاء، ومن الشر: بلوته أبلوه بلاء، قـال: والمعـروف أن الابتلاء يكون في الخير والشر معاً من غير فرق بين فعليهما، ومنه قوله تعالى:

﴿ **وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً** ﴾[الأنبياء: ٣٥]

قال ابن بري: والبلاء: الإنعام، قال تعالى:

﴿**وَآتَيْنَاهُم مِّنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُّبِينٌ**﴾[الدخان: ٣٣] أي إنعام، وفي الحديث: (مـن أُبلـي فذكر فقد شكر)[1]، الإبلاء: الإنعام والإحسان»[1].

[1] هذا جزء من حديث أخرجه أبو داود في كتاب الأدب، باب شكر المعـروف (٤١٨٠) ٢٥٦/٢، عـن جابر ﷺ عن النبي ﷺ قالَ: (من أُبلِي بلَاء فَذَكَره فَقَد شَكَره وإن كَتَمه فَقَد كَفَـره). قـال محمـد

وقال أبو بكر الرازي:

«البلية، والبلوى، والبلاء، واحد، والجمع: بلايا، وبلاه: جربه واختبره، وبـلاه ا : اختبـره، ويكون بالخير والشر»[٢].

الابتلاء اصطلاحاً:

تتطابق دلالات الابتلاء اللغوية مع معانيه الشرعية، فما احتوته اللغة مـن دلالات تضـمنته معاني الآيات، قال شيخ المفسرين، أبو جعفر الطبري:

«وأصل البلاء في كلام العرب: الامتحان والاختبار، ثم يسـتعمل فـي الخيـر والشـر؛ لأن الامتحان والاختبار قد يكون بالخير كما يكون بالشر، كما قال ا جـل ثنـاؤه: ﴿**وبلونـاهم بالحسنَاتِ والسيئَاتِ لعلهم يرجعون**﴾[الأعراف: ١٦٨]، وكما قال جل ذكره: ﴿**ونبلُوكُم بِالشر والخَير فِتْنَة**﴾[الأنبياء: ٣٥]، ثم تسمي العرب الخير بلاء، والشر بلاء، غير أن الأكثـر فـي الشر أن يقال: بلوته أبلوه بلاء، وفي الخير: أبليته، أبليه، إبلاء، وبلاء، ومن ذلك قول زهيـر بن أبي سلمى[٣]:

جزى ا بالإحسان ما فعلا بكم وأبلاهما خير البلاء الذي يبلو

فجمع بين المعنيين؛ لأنه أراد: «فأنعم ا عليهما خير النعم التي يختبر ا بها عباده»[٤].

شمس الحق العظيم آبادي: (من أُبلي) بصيغة المجهول، أي: أُعطي عطاء، والـبلاء يسـتعمل فـي الخير والشر، لكن أصله الاختبار والمحنة، وأكثر ما يستعمل في الخير، قال تعالى: ﴿**ببلاءً حسـنًا**﴾ [الأنفال: ١٧]، (فذكره فقد شكره) من أدب النعمة أن يشكر المعطي، فإذا ذكره، فقد شـكره، ومـع الذكر يشكره ويثني عليه، (وإن كتمه فقد كفره) أي ستر نعمة العطاء، والكفر في اللغـة: الغطـاء، والحديث سكت عنه المنذري. عون المعبود شرح سنن أبي داود ١٢/ ١١٥.

(١) لسان العرب ١٤/ ٨٣، فصل الياء , باب الباء.

(٢) مختار الصحاح ص٦٥.

(٣) ورد في الديوان بلفظ: رأى ا , مكان: جزى ا . ديوان زهير , ص٦١، وفي شرح ديوان زهير، لأبـي العباس ثعلب ص٩١، والقصيدة قالها الشاعر في مدح هرم بن سنان، والحارث بن عوف.

(٤) جامع البيان لأبي جعفر الطبري ١/ ٢٧٤و٥٢٤، وأكد القرطبي ذلك بقوله: «قال ابن كيسان: ويقـال فـي الخير: أبلاه ا وبلاه، _وبعد أن أورد بيت زهير السابق قال-: فجمع بين اللغتين، والأكثر في الخيـر: أبليته، وفي الشر: بلوته، وفي الاختبار: ابتليتـه وبلوتـه، قالـه النحـاس» الجـامع لأحكـام القـرآن

تكييفه الشرعي:

يندرج الابتلاء ضمن التكاليف الشرعية التي حملها ا عز وجل لعباده؛ قال العز بن عبد السلام موضحاً ذلك: «ولا شك أن للبشر طاعات لم يثبت مثلها للملائكة، كالجهاد والصبر ومجاهدة الهوى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على البلايا والمحن والرزايا وتحمل مشاق العبادات؛ لأجل ا »[1].

وما الحياة الدنيا إلا مرحلة انتقالية، لها أثر في ما بعدها، يمتحن فيها الخالق عباده بتكاليف أمرهم الالتزام بها، مما ينتج عنه مشقة تقع على المكلفين؛ فالابتلاء لازم للتكاليف كلها، وللمكلفين أجمعين[2]، قال الإمام الشاطبي: «إن ا وضع الأسباب والمسببات، وأجرى العوائد فيها تكليفاً وابتلاء وإدخالاً للمكلف تحت اسم الحاجة، كما وضع العبادات تكليفاً وابتلاء أيضاً»[3].

وعموم الابتلاء وتنوعه يدل على أنه من جملة التكاليف الشرعية، يشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿ **ونَبلُوكُم بِالشر والْخَير فِتْنَةً**﴾[الأنبياء: ٣٥]. وا سبحانه تعالى لم يقتصر بالمكلف على أمر ونهي وإن تضمن مشقة؛ بل ابتلاه -كما أشارت الآية- بأمرين:

الأول: ما سماه خيراً، وهو نعم الدنيا من صحة ولذة...

الثاني: ما سماه شراً، وهو المضار الدنيوية، من فقر وآلام، وسائر الشدائد النازلة بالمكلفين، فالمكلف يتردد بين هاتين الحالتين، كي يشكر على النعم، ويصبر عند المحن؛ فيعظم

٣٨٧/١.وانظر ١٣/ ٢٠٦. قال الفخر الرازي: «قال القفال: أصل الكلمة من الابتلاء، وهو الاختبار والامتحان، قال تعالى: ﴿ **ونَبلُوكُم بِالشر والْخَير فِتْنَةً**﴾، وقال: ﴿**وبلَوناهم بِالْحسنَاتِ والسيئَاتِ** ﴾، والبلوى واقعة على النوعين، فيقال للنعمة بلاء، وللمحنة الشديدة بلاء، والأكثر أن يقال في الخير: إبلاء، وفي الشر: بلاء، وقد يدخل أحدهما في الآخر، قال زهير: جزى ا ...» مفاتيح الغيب ٧٠/٣.

[1] الفتن والبلايا (الهامش) ص٢١.

[2] مفهوم الحكمة عند الإمام الشاطبي، د. تميم الحلواني ص٢٩٠

[3] الموافقات للشاطبي ٤/ ١٠٣.

ثوابه إذا قام بما يلزم[١].

وا تعالى جعل الشرائع -وهي مصدر التكليف- مختلفة؛ ابـتلاء للمكلفـين، قـال تعـالى: ﴿**ولو شاء الله لجعلكم أمةً واحدةً ولكن ليبلوكم في ما ءاتاكم** ﴾ [المائدة: ٤٨]، قال: ﴿**ليبلوكم في ما ءاتاكم**﴾ أي: من الشرائع المختلفة، هل تعملون بها؟ منقادين تعـالى، خاضـعين لتكاليفه، أم تتبعون الشُبه وتقصرون في العمل[٢].

وا تعالى سمى التكاليف التي أمر بها إبراهيم عليه السلام ابتلاء؛ حيث قال: ﴿**وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلماتٍ فأتمهن...**﴾ [البقرة: ١٢٤]. فا ﷻ أمره بأوامر كلفه العمـل بهـا؛ امتحانـاً منـه واختباراً[٣].

فالابتلاء الذي هو من جملة التكاليف الشرعية يدخل ضمن مقاصد الشريعة من وجهين:

الأول: أن المقصد الشرعي من وضع الشريعة: إقامة المصالح الدنيوية والأخروية على وجه كلي[٤]، فا تعالى أعلم بما يصلح عباده منهم.

الثاني: المقصد الآخر من وضع الشريعة: إخراج المكلف عن داعية هواه، حتى يكون عبداً اختياراً، كما هو عبد اضطراراً[٥].

وهذا لا يعني أن يخرج المكلف عن هواه كلياً، وكأنه مادة لا روح فيها، فيقمع رغباته ويكبت شهواته، ولو أصابه عنت شديد، ووقع في مشقة بالغة، فالشريعة لم تأت لهذا بل لرفع الحـرج عن المكلفين، قال تعالى: ﴿**وما جعل عليكم في الدين من حـرج** ﴾[الحـج: ٧٨]. فـالأهواء جامحة، والرغبات لا حد لها، فلو خلي بين الناس وما يشتهون، لأصبح المجتمع بهيمياً، ومـا المقصود إلا وضع الهوى ضمن حدود ليس للمكلف تجاوزها؛ لأن فيه تعدياً على الآخـرين،

---

[١] مفاتيح الغيب ٢٢/ ١٦٩.
[٢] المرجع السابق ١٢ /١٣ ' و٢٨ /٤٦ وانظر الجامع لأحكام القرآن ٢٥٧/١٦.
[٣] جامع البيان ٥٢٤/١.
[٤] الموافقات ١٦٨/٢ (الهامش).
[٥] المرجع السابق ١/ ١٤٨، ٢/ ١٦٨.

وهو الهوى المخالف لمقاصد الشريعة التي وضعت لجلب المصالح ودرء المفاسد [١].

فالتكاليف التي أوجبها ا تعالى على عباده، وضعت لمصلحتهم، وهي عائدة علـيهم بـالنفع بحسب أمر الشارع، وعلى الحد الذي حده، لا على مقتضى أهوائهم، أو حسب شهواتهم، وهذه التكاليف جاءت لوضع الشهوات والرغبات ضمن أطر وقواعد كي لا يخرج الإنسـان عـن إنسانيته –كما الحال في الشذوذ الجنسي المنتشر في المجتمعات الغربيـة-، أو يتجـاوز كـل الحدود، فلا قيم يتحلى بها، ولا قوانين يراعيها، ولا حقوق للآخرين يقف عندها –كما الحـال في الدول الاستعمارية- وهذه التكاليف الشرعية وإن كانت ثقيلة على النفوس كما يشهد الواقع وتدل التجربة، فالأوامر والنواهي مخرجة للمكلف عن دواعي طبعه، واسترسال أغراضه، وهذا من لوازم التكليف وغاياته، فأي تكليف- ولو نتج عنه مشقة، وهو لابد حاصل-له هدف وغاية؛ فمصالح التكليف عائدة على المكلف بالنفع في العاجل والآجل، ونيل الرغبات يجب أن لا يتم إلا ضمن حدود الشرع[٢].

معرفة المصالح وترتيبها:

يسعى الإنسان في ما يحقق له النفع وما يدفع عنه الضرر؛ لكنه ما يلبث إلا أن يجد نفسـه قـد بـاء بالفشل، ووقع في الخسران، وأن سعيه ذهب سدى، فلا يحصد إلا الندم، ولا يجني إلا الخيبة؛ لأنه ما اهتدى إلى الطريق القويم، فكم من أُمم هلكت بالسبل التي اتبعت، وكم من أفراد خسروا بالطرق التي سلكوا.

فالمصالح التي تقوم بها أحوال العباد، لا يعرفها حق معرفتها إلا الباري ﷻ، وليس للعبد بهـا علم إلا من بعض الوجوه، والذي يخفى عليه أكثر من الذي يبدو له، فقد يكـون سـاعياً فـي مصلحة نفسه من وجه لا يوصله إليها، أو يوصله إليها عاجلاً لا آجلاً -وهي الدنيوية دون الأخروية- أو يوصله إليها ناقصة لا كاملة.

وإن رعاية هذه المصالح، التي هي من جملة التكاليف الشرعية، تتم وفـق أولويـات حـددها

(١) المرجع السابق ١/ ٣٤٤.
(٢) المرجع السابق ٢/ ١٧٢.

الشارع الحكيم، وهي على قسمين:

الأول: ما كان من المقاصد الأصلية: وهي أن يحفظ دينه: اعتقاداً وعمـلاً، ونفسـه: قيامـاً بضرورية حياته، وعقله: حفظاً لمورد الخطاب عن ربه، ونسله: التفاتاً إلى بقاء عوضه فـي عمارة هذه الدار، وأن لا يضعه في حرام؛كي لا تختلط الأنساب، وماله: استعانة على إقامـة تلك الأوامر.

الثاني: ما كان من المقاصد التبعية: وهي التي روعي فيها حظ المكلف، فمن جهتها يحصـل له مقتضى ما جبل عليه من نيل الشهوات والاستمتاع بالمباحات.

والمقاصد التبعية خادمة للمقاصد الأصلية ومكملة لها، ولو شاء ا لكلف بها مع الأعـراض عن الحظوظ، أو مع سلب الدواعي المجبول عليها، ولكنه امتن على عباده بما جعلـه وسـيلة إلى ما أراده من عمارة الدنيا للآخرة، وجعل اكتساب هذه الحظوظ مباحاً لا ممنوعاً، وذلـك وفقاً لقوانين شرعية أبلغ في المصلحة وأجرى على الدوام، مما يعده العبد مصلحة، وا يعلم وأنتم لا تعلمون[1].

والضرورات المكلف بها من حيث المنفعة على ضربين:

الأول: ما كان للمكلف فيه حظ عاجل مقصود، كقيام الإنسان بمصالح نفسه وعياله.

الثاني: ما ليس فيه حظ عاجل مقصود، كالعبادات، والجهاد، والتعليم[2].

حكم المشقة الناتجة عن التكليف وفائدتها:

من المعلوم أن شرط التكليف قدرة المكلف عليه، وأنه لا يصح شرعاً التكليـف بمـا لا يطـاق، وأن الشارع لم يقصد التكليف بالشاق والإعنات فيه، والأدلة على ذلك كثيرة: من القرآن والسنة، وما شرعت الرخص إلا لإبعاد المشقة عن المكلف، كالقصر والجمـع فـي الصـلاة، والفطـر للمريض والمسافر.

وهذه التكاليف ينتج عنها مشاق - وهي نوع ابتلاء واقع على المكلف - فهل هـذه المشـاق

(١) الموافقات ١٧٦/٢- ١٧٨.
(٢) المرجع السابق ١٨٠/٢.

مقصودة للشارع؟ وهل للمكلف أن يتخلص منها؟.

لم يقصد الشارع التكليف بالمشقة لذاتها، وإنما قصد التكليف بما يلزم عنـه مشـقة محتملـة، كالمشقة الناتجة عن طلب المعاش، فهي معتادة ومحتملة، بل لابد منها لاستمرار الحياة[1].

والمشقة الناتجة عن التكليف وإن لم تكن مطلوبة للشارع من جهة المشقة نفسها، فهي مطلوبة من جهة المصالح العائدة على المكلف؛ فالتكليف لم يقصد إليه من جهة ما هو مشقة، إنما قصد إليه من جهة ما هو مصلحة وخير للمكلف عاجلاً أو آجلاً، وذلك مثال الطبيـب إذ يقصـد بإعطاء الدواء المر، والإيلام بفصد العروق وقطع الأعضاء: نفع المريض لا إيلامه؛ وإن كان على علم من حصول الإيلام. وهكذا شأن الشريعة، فحيث وجد تكليف، حصـلت مشـقة؛ لأن المقصود هو المصلحة التي هي أهم من المشقة.

أقسام المشقة من حيث الدفع وعدمه:

ليس للمكلف أن يحدث مشقة لا يقتضيها التكليف؛ لأن المشقة ليست مطلوبة لـذاتها، وذلـك كالناذر للصيام قائماً في الشمس[2]، وليس له أن يدخل في عمل شـاق يقطعـه عـن القيـام بواجبات عليه، ولاسيما حقوق الآخرين[3].

وللمكلف دفع المشقة الواقعة عليه إذا كانت خارجة عن المعتاد في الأعمال العادية ويحصـل

---

[1] المرجع السابق ٢/١٠٧ و١١٩ و ١٢١ و ١٢٣.

[2] أخرجه البخاري عن ابن عباس في الأيمان والنذور (٦٢١٠)، وأبو داود، كتاب الأيمان والنذور، باب من رأى عليه كفارة (٢٨٧٠)، وابن ماجه في الكفارات (٢١٢٧), قال: (بينما النبي ﷺ يخطب إذ هو برجل قـائم فـي الشمس، فسأل عنه، قالوا: هذا أبو إسرائيل – لقب رجل من بني عامر – نذر أن يقوم ولا يقعد ولا يسـتظل ولا يتكلم، ويصوم، قال: مروه فليتكلم وليستظل وليقعد وليتم صومه) قال ابن حجر في فتح البـاري: (وأبـو إسرائيل المذكور لا يشاركه أحد في كنيته من الصحابة واختلف في اسمه، قيل: قشير، وقيـل بسـير..).و يشهد لهذا المعنى ما رواه ابن عباس: (أن النبي ﷺ لما بلغه أن أخت عقبة بن عامر نذرت أن تحج ماشـية، قال: إن ا لغني عن نذرها، مرها فلتركب) سنن أبي داود، الكتاب والباب السابقين نفسهما (٢٨٦٨)، سـنن الدارمي كتاب الأيمان والنذور (٢٢٣٠).

[3] من ذلك ما رواه أبو جحيفة، قال: (آخى النبي ﷺ بين سلمان وأبي الدرداء، فزار سلمان أبا الدرداء، فـرأى أم الدرداء، وهي زوجة متبذلة، فقال لها: ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا، فجاء أبو الدرداء فصنع له طعاماً، فقال له: كل فإني صائم، فقال: ما أنا بآكل حتى تأكل، فأكـل... فقـال لـه سلمان: إن لربك عليك حقاً، ولنفسك عليك حقاً، ولأهلك عليك حقاً، فأعط كل ذي حق حقه , فأتى النبـي ﷺ, فذكر له ذلك، فقال له النبي ﷺ: صدق سلمان). أخرجه البخاري، كتاب: الصيام، باب من أقسم علـى أخيه ليفطر (٣٨٦٧) ٢/٦٩٤، وفي: كتاب الأدب، باب الإخاء والحلف (٥٧٨٨) ٥/ ٢٢٧٣، وابن حبان في صحيحه (٣٢٠) ٢/٢٣.

بها فساد ديني أو دنيوي، وهي التي وضعت الرخص لأجلها، كترك الوضوء، وقطع الصيام؛ وذلك في حالات محددة.

كذلك على المكلف دفع المشقة الداخلة عليه من الخارج، لا بسببه ولا بسبب دخوله في عمـل تنشأ عنه، فلا قصد للشارع في إدخالها على النفس، أو الصبر عليها، من ذلك دفع ألم الجـوع والعطش والحر والبرد، وجواز التداوي؛ لدفع الأمراض والتخاص من الآلام.

أما المشقة غير الخارجة عن المعتاد، والواقعة على نحو ما تقع المشقة في مثلها في الأعمـال العادية؛ فالشارع وإن لم يقصد إيقاعها، فليس بقاصد رفعها؛ لأنها لو رفعت لما بقي تكليـف، وما أودع الإنسان في الدنيا إلا من أجل ذلك[1].

حكمته الشرعية:

الابتلاء يعم جميع المكلفين، ويشمل كل التكاليف، فهو يتصف بالشمول من جهتين:

الأولى: من جهة المكلفين؛ بحيث لا يخرج أحد منهم في سائر أحواله عن معناه.

الثانية: من جهة التكاليف؛ إذ لا يخلو منه شيء من أحكامها سواء أكانت عبادات أم معاملات. كما قال الشاطبي: «الابتلاء لازم للتكاليف كلها، وللمكلفين أجمعين»[2].

وقد شاءت حكمة ا تعالى أن يكون الإنسان أعظم مظهر لألوهيته ﷻ؛ وذلك بأن يقوم بعمارة الكون عن طريق ممارسة العبودية الصادقة؛ ليكون عبداً بالسلوك والاختيار، كما هو عبـد بالخلق والاضطرار، فيخضع سلوكه وتصرفاته الإرادية لمقتضى تلك الحقيقـة الأزليـة؛ وبذلك يتحقق معنى عبوديته تعالى[3].

فهذا الإنسان الذي تتجلى فيه أعظم مظاهر الألوهية وبسلوكه تتحقق معاني العبودية، وضِع في هذه الحياة الدنيا موضع الامتحان والاختبار؛ وذلك لإقامة الحجة عليه يوم القيامة؛ وليظهر في الشاهد ما علمه ا تعالى في الغائب، فما من صورة من صور الابـتلاء إلا وهـي امتحـان لإيمان المؤمنين، وتردد الحائرين، قال تعالى: ﴿ **ولنَبلُوَنكُم حتـى نَعلَـم المجاهِـدِين مِـنكُم**

[1] الموافقات ٢/ ١٢٥و١٣٣و١٤٣و١٥٦.
[2] مفهوم الحكمة عند الإمام الشاطبي ص٢٩٠.
[3] الإنسان وعدالة ا في الأرض د. محمد سعيد رمضان البوطي ص٣٢.

والصابرين ونبلو أخباركم ﴾[محمد: ٣١]، وقال أيضاً: ﴿ **أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون**﴾ [العنكبوت: ٢][١].

فالأسباب والمسببات وضعها ا عز وجل ابتلاء للعباد وامتحاناً؛ لينظر كيف يعملون، فهي إما طريق موصل إلى السعادة أو إلى الشقاوة[٢]. قال القرطبي:

«الأصل في الابتلاء: الاختبار، أي ليختبرني أأشكر نعمته أم أكفرها» وعند قوله تعالى: ﴿ إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة﴾ [القلم: ١٧]، قال: «الابتلاء: الاختبار، والمعنى: أعطيناهم أموالاً ليشكروا لا ليبطروا، فلما بطروا وعاندوا محمداً ﷺ ابتليناهم بالجوع والقحط»[٣].

وا تعالى جعل الحياة الدنيا للاختبار، والبعث بعد الموت للحساب والجزاء؛ ليظهر منهم ما يكون غايته الثواب والعقاب يوم القيامة[٤]. قال الإمام الطبري عند قوله تعالى: ﴿**ليبلوكم أيكم أحسن عملا** ﴾[هود: ٧، الملك: ٢]:

(ليختبركم فينظر أيكم له أيها الناس أطوع، وإلى طلب رضاه أسرع، وعندما تلا رسول ا ﷺ هذه الآية، قال: (أيكم أحسن عقلاً، وأورع عن محارم ا ، وأسرع في طاعة ا)[٥].

وإذا كان ا تعالى قد ابتلى عباده؛ فإنه جعل مادة الابتلاء: هذه الأرض وما عليها من زينة وما بث فيها من نعم، فتعلقت بها القلوب، وتشوفت إليها النفوس، وأخلدت إليها الأبدان لا تريد فراقها، وما حقيقة أمرها إلا كما قال رسول ا ﷺ: (إن الدنيا خضرة حلوة، وإن ا مستخلفكم فيها، فناظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء﴾[٦]، وقد قال تعالى:

---

(١) مفهوم الحكمة عند الشاطبي ص٢٩١.
(٢) الموافقات ٢٠٦/١.
(٣) الجامع لأحكام القرآن ٢٠٦/١٣ و٢٣٩/١٨.
(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن ٢٠٧/١٨-٢٠/٥١-٦م٢١١-٣٨٧/١.
(٥) جامع البيان ١٢/ ٥- ١/٢٨ –١٨/ ١٨-١٣٢/٢١-٨٠/٢٣-١٢/٢٤-٢٤/١٧ , وانظر: تفسير القرطبي٢٠٧/١٨ , والحديث رواه ابن عمر ﷺ، مسند الحارث بن أبي أسامة (زوائد الهيثمي) (٨٣١) , ٨٠٩/٢.
(٦) أخرجه مسلم عن أبي سعيد الخدري ﷺ، كتاب الرقاق، باب: أكثر أهل الجنة الفقراء وبيان الفتنة بالنساء (٢٧٤٢) , ٢٠٩٨/٤، والترمذي, كتاب: الفتن، باب: ما أخبر النبي ﷺ أصحابه بما كائن إلى يوم القيامة

﴿ **إنا جعلنا ما على الأرض زينةً لها لِنبلوهم أيهم أحسن عملًا** ﴾[الكهـف: ٧]، أي أن مـا جعله من زينة على هذه الأرض، ما هو إلا لاختبارهم: أيهم أترك لها، وأتبع لأمـره، وأبعـد عن نهيه، وأعمل بطاعته(١).

ومن سنن ا ﷻ في خلقه أن لا يدخل أحداً من عباده الجنة دون أن يمتحنـه، قـال تعـالى: ﴿ **أم حسِبتُم أن تَدخُلوا الجنةَ ولما يأْتِكُم مثَلُ الـذِين خَلَـوا مِـن قَـبلِكُم مسـتْهم الْبأْسـاء والضراء...** ﴾ [البقرة: ٢١٤](٢).

ومن سننه أيضاً أن جعل البلاء سبباً لمغفرة الذنوب ورفع الدرجة وعلو المنزلة، وأن الـبلاء يكون على قدر الإيمان، فمن زاد إيمانه عظم بلاؤه(٣). وبينما يشتد البلاء على المؤمنين، يرفل العصاة في النعم(٤).

حكم الابتلاء المعبر عن حقيقة مفهومه:

إن للابتلاء مفهوماً من خلاله تظهر حكمة اختبار ا تعالى لعباده؛ وذلـك أن ا ﷻ جعـل الإنسان خليفته على هذه الأرض(٥)، فأنزل عليه شريعة، وحد له حدوداً، ورسم له طريقاً، بعد

(٢١٩١) , ٤٨٣/٤ , والحاكم في المستدرك،كتاب الفتن والملاحم (٨٥٤٣) , ٥٥١/٤، والطبرانـي فـي المعجم الأوسط(٣٨١٧) , ١٤٠/٤ والطبري عن قتادة مرسلاً, ١٩٥/١٥.

(١) جامع البيان ١٥/ ١٩٥.

(٢) تفسير ابن كثير ٢٥١/١.

(٣) قال رسول ا ﷺ فيما يرويه أنس رضي الله عنه: (إن عظم الجزاء مع عظـم الـبلاء, وإن ا إذا أحـب ا قومـاً ابتلاهم...) سنن الترمذي,باب ما جاء في الصبر على البلاء (٢٣٩٦) ٦٠١/٤، وقال: حسن غريب مـن هذا الوجه، والبيهقي في شعب الإيمان، فصل أشد الناس بلاء (٩٧٨٢) ١٤٤/٧، وفـي مسـند الشـهاب (١١٢١) ٢ /١٧٠. وعندما سئل الرسول ﷺ: أي الناس أشد بلاء، قال: (الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى الرجل على حسب دينه... فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ومـا عليـه خطيئـة). أخرجه الترمذي، كتاب الزهد,باب ما جاء في الصبر على البلاء، وقال: حسن صـحيح (٢٣٢٢),وابـن ماجه في الفتن, باب الصبر على البلاء (٤٠١٣-٤٠٩٤), وأحمد (١٤٠٠-١٤١٢-١٤٧٣). والدارمي في الرقاق,باب أشد الناس بلاء ٢/ ٣٢٠.وانظر وتحفة الأحوذي ٧/ ٧٩ وتفسير ابن كثير ٣/ ٤٠٤.

(٤) هذا معنى حديث سيأتي بتمامه: (مثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع) أخرجه مسلم في صفات المنـافقين، باب مثل المؤمن (٥٣١٩) ١٧/ ١٣٠ (بشرح النووي), سنن الدارمي، كتاب الرقاق, باب: مثل المـؤمن كمثل الزرع ٣١٠/٢.

(٥) قال تعالى: ﴿ **وإِذْ قَالَ ربك لِلْملَائِكَةِ إِني جاعِلٌ فِي الْأَرضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجعلُ فِيها من يفْسِد فِيها ويسـفِك الدماء ونَحن نُسبح بِحمدِك ونُقَدس لَك قَالَ إِني أَعلَم ما لَا تَعلَمون** ﴾ (البقرة: ٣٠).

أن منحه الحرية وأعطاه الخيرة، وجعل الكون مظهراً لعظمته، ودليلاً على قدرتـه، وأرسـل رسلاً مبشرين ومنذرين؛ اختبر طاعته ومقدار التزامه، فمن قبل بالدليل ورضـي بالبرهـان وصدق بالرسل، فاتبع هدى ا ﷻ، نال رضوانه واستحق جنانه. وأما مـن رفـض الـدليل وخالف البرهان وكذب الرسل، فاتبع غواية الشيطان وسار خلف هواه، استحق سخط المـولى ﷻ وغضبه[1].

وما الدنيا إلا دار امتحان يعبر منها الإنسان إلى الآخرة؛ حيث يلقى الجزاء الأوفى علـى مـا قدم، فالعاقل من خاف الجليل وعمل بالتنزيل واستعد ليوم الرحيل، بعد أن يعلم أنه لم يوجـد عبثاً ولن يصير عدماً، بل له رسالة ويحمل أمانة، يصل بعدها إلى هدف وغاية.

ودار الاختبار هذه يتقلب فيها الإنسان بين لمتين، لمة ملك، ولمة شيطان[2]، وهو مخير بحكم الابتلاء في الميل مع أحد الجانبين، قال تعالى: ﴿ **ونَفْسٍ وما سواها ۞ فَأَلْهمهـا فُجورهـا وتَقْواها** ﴾[الشمس: ٧ – ٨]، وقال: ﴿ **إنا خَلَقْنَا الْإِنْسان مِن نُطْفَةٍ أَمشَـاجٍ نَبتَلِيـهِ فَجعلْنَـاه سمِيعًا بصِيرًا۞إنا هديناه السبِيلَ إما شَاكِرًا وإما كَفُورًا** ﴾ [الإنسان: ٢-٣].

ومن المعلوم أن التخيير صحيح على مقتضى حكم الابتلاء، لا على مقتضى حكم التشريع، إذ هو مطالب أن يتبع لمة الملك دون لمة الشيطان. والفرق بين الحكمين إنما هـو فـرع عـن التفريق بين أمر ا وبين إرادته، فأمره مخاطب به جميع المكلفـين، أمـا إرادتـه فمتصـلة بالقضاء والقدر، وهو علمه السابق[3].

وللابتلاء غاية وهي: اختبار ما في القلوب وتمحيص ما في الصدور، وهذا مصداق قوله ﷻ:

---

[1] عن ابن مسعود ﷺ قال: (خط لنا رسول ا ﷺ خطاً، ثم قال: هذا سبيل ا ، ثم خط خطوطاً عـن يمينـه وشماله، وقال هذه سبل- يعني متفرقة- على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه , وقرأ: " وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقـون " – الأنعـام ١٥٣. أخرجه أحمد في المسند (٣٩٢٨), والدارمي في الرقاق, في المقدمة, باب كراهية أخذ الـرأي (٢٠٤), وفي الرقاق, باب الأمل والأجل (٢٦١٣), والمروزي في السنة (١١) ١/١٠.

[2] روى ابن مسعود ﷺ عن رسول ا ﷺ أنه قال: (إن للشيطان لمة بابن آدم, وللملك لمة, فأما لمة الشيطان: فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق، وأما لمة الملك فإيعاد بالخير وتصديق بالحق، فمن وجد ذلك, فليعلم أنه مـن ا ، ومن وجد الأخرى, فليتعوذ من الشيطان، ثم قرأ: (الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء وا يعدكم مغفرة منه وفضلاً وا واسع عليم) " البقرة ٢٦٨ " أخرجه الترمذي في كتاب تفسر القرآن، باب سـورة البقرة (٢٩٨٨) ٢١٩/٥، وقال أبو عيسى: حسن غريب. وابن حبـان، بـاب الأدعيـة (٩٩٧) ٢٧٨/٣، والبيهقي في شعب الإيمان (٤٥٠٦) ١٢١/٤. واللمة: ما يقع في القلب بواسطة الشيطان أو الملك، ولمة الشيطان تسمى وسوسة، ولمة الملك تسمى إلهاماً. تحفة الأحوذي ٢٦٥/٨.

[3] مفهوم الحكمة عند الشاطبي ص٢٩١.

﴿**وليبتَلِي الله ما فِي صدوركُم وليمحص ما فِي قُلُوبِكُم** ﴾ [آل عمران: ١٥٤]. وذلك ليتبين المطيع من العاصي، ومتبع الهدى، من متبع الهوى[١].

حقيقة الابتلاء:

من خلال ما تقدم تبين أن معنى الابتلاء، كما دلت عليه اللغة، وأوضحته النصوص، أنه امتحان من ا لعباده، يختبر طاعتهم له وامتثالهم لأمره؛ ليجزيهم يوم القيامة على ما تقدم منهم في الحياة الدنيا، فإذا كانت حقيقة الابتلاء تقوم على: أن هناك ممتَحِناً، وممتَحناً، وممتَحناً به، فهذه أركان الابتلاء، والعلاقة بينها تبادلية؛ إذ الممتَحِن ينتظر النتيجة من الممتَحن، وهي كيفية تعامله مع مواد الامتحان وتجاوبه مع شروطه؛ وذلك ليعامله على ضوء تلك النتيجة المنتظرة، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، أن مما هو معلوم من الدين بالضرورة، ومادلت عليه النصوص، وأجمع عليه العقلاء، أن ا ﷻ بكل شيء عليم، يعلم ما كان وما سيكون، وأنه أحاط بكل شيء علماً، وهو السميع البصير[٢].

في ضوء ما سبق، كيف يوفق بين حقيقة: أن ا تعالى يعلم ما كان وما سيكون، وبين ما أخبر به، أنه وضع الإنسان في الدنيا موضع الاختبار ليعامله على مقتضى نتيجة هذا الاختبار؟ وهل ا تعالى يختبر عباده انتظاراً منه لنتيجةٍ لا يعلمها؟ فإذا كان الجواب بالنفي؛ فلماذا هذا الاختبار والنتيجة معلومة؟ وما هي حقيقته؟ إذ لا يشبه اختبار الناس بعضهم لبعض.

قضت إرادة الباري أن يكون العالم وما حوى أعظم مظهر لربوبيته، وأخص ما فيه الإنسان؛ حيث كرمه وجعله خليفته، قال تعالى: ﴿ **وإِذْ قَالَ ربك لِلملَائِكَةِ إِني جاعِلٌ فِي الْأَرضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجعلُ فِيها من يفْسِد فِيها ويسفِك الدماء ونَحن نُسبح بِحمدِك ونُقَدس لَك قَالَ إِني أَعلَم**

(١) جامع البيان ٤/ ١٦٨.

(٢) إلا ما كان من بعض الفئات المارقة, التي تدعي الإسلام وتضمر الكفر، وتحيك المؤامرات ضد المسلمين، من ذلك ما قاله الذهبي عن أحد الزنادقة: (هشام بن الحكم، وكان في هذا الحين المتكلم البارع الكوفي الرافضي المشبه المعثر وله نظر وجدل وتواليف كثيرة، قال ابن حزم: جمهور متكلمي الرافضة، كهشام بن الحكم وتلميذه أبي علي الصكاك وغيرهما، يقولون بأن علم ا محدث، وأنه لم يعلم شيئاً في الأزل، فأحدث لنفسه علماً، قال: وقال هشام بن الحكم في مناظرته لأبي الهذيل: إن ربه طوله سبعة أشبار بشبر نفسه). سير أعلام النبلاء ٥٤٣/١٠ –٥٤٤. وقال الفخر الرازي: (وقال هشام بن الحكم: إنه تعالى كان في الأزل عالماً بحقائق الأشياء وماهياتها فقط، فأما حدوث تلك الماهيات ودخولها في الوجود فهو تعالى لا يعلمها إلا عند وقوعها, وقال: وأعلم أن هشاماً كان رئيس الرافضة؛ فلذلك ذهب قدماء الروافض إلى القول بالبداء). وأورد الفخر الرازي الأدلة النقلية والعقلية، التي تدحض هذا الهراء.انظر مفاتيح الغيب ٤/ ٣٤. وفي هذا العصر سار على هذه الجهالة أغمار ينسبون أنفسهم إلى الإسلام، يستميلون من يبحث عن جديدٍ دائماً, طلباً للشهرة وحباً للظهور، وما هدفهم إلا الطعن في الإسلام، وإبعاد أهله عنه.

ما لا تعلمون﴾ [البقرة: ٣٠]، والخلافة تتجلى في أن ينفذ الخليفة أمر من استخلفه، قـال جـل ذكره: ﴿ **وما خلقتُ الجن والإنس إلا ليعبدون**﴾ [الذاريات: ٥٧]. وأكد الحكمة في الخلق وعدم العبثية بقوله ﷻ: ﴿ **أفحسبتُم أنما خلقناكُم عبثًا وأنكُم إلينا لا تُرجعـون** ﴾[المؤمنـون: ١١٥] والمعنى: أفحسبتم أنكم خُلقتم عبثاً -الطبيعة خلقتكم، أو المصادفة أوجدتكم- وذلك دون حكمة، وأنكم إليه لاترجعون، فلا حساب ولا عقاب -وهذا لسان حال الكفار حين قالوا: ﴿**ما هـي إلـا حياتُنا الدنيا نموتُ ونحيا وما يهلكُنا إلا الدهر**﴾ [الجاثية ٢٤]- لا بل ليتعبدكم بالأمر والنهي، ثم ترجعوا إليه ليجازيكم على ذلك[1].

والإنسان خلال رحلته التي لها بداية، ولها نهاية، يمر عبر مراحل: حياة يسبقها عدم، ثم يليها موت بعده بعث ونشور، يعقبه حساب وجزاء على ما سلف من أعمال،قال تعـالى: ﴿ **كيـف تكفُرون بالله وكُنتُم أمواتًا فأحياكُم ثُم يميتُكُم ثُم يحييكُم ثُم إليـه تُرجعـون**﴾ [البقـرة: ٢٨]. والحياة الدنيا هي المرحلة الحاسمة؛ حيث أُعطي المكلف فيهـا الخيـرة بـين الطاعـة والمعصية، ثم يكون الجزاء يوم القيامة على مقتضى الاختبار السابق؛ فإذا كان العبد موضوعاً في الدنيا تحت الاختبار، وا تعالى عالم بالنتيجة سلفاً، فما حقيقة هذا الاختبار؟.

تولى الإمام فخر الدين الرازي الإجابة عن ذلك؛ حيث قال: «فإن قيل: ما التحقيق في قولنـا التكليف ابتلاء؟ وا يعلم السر وأخفى، وماذا يفهم من قوله: ﴿**ولكن ليبلو بعضكم بـبعض**﴾؟. نقول فيه وجوه:

الأول: أن المراد منه: يفعل ذلك فعل المبتلين، أي كما يفعل المبتَلي المختِبر.

ومنها: أن ا تعالى يبلو ليظهر الأمر لغيره، إما للملائكة وإما للناس.

والتحقيق: أن الابتلاء والامتحان والاختبار فعل يظهر بسببه أمر غير متعـين عنـد العقـلاء بالنظر إليه قصداً إلى ظهوره» ثم شرع يشرح هذا التعريف فقال: «وقولنا فعل يظهر بسـببه أمر: ظاهر الدخول في مفهوم الابتلاء؛ لأن ما لا يظهر بسببه شيء أصلاً لا يسمى ابتلاء، أما قولنا أمر غير متعين عند العقلاء: وذلك أن من يضرب بسيفه على القثاء والخيار لا يقال إنه

[1] تفسير الجلالين ص٤٥٦.

يمتحن؛ لأن الأمر الذي يظهر منه متعين، وهو القطع والقد قسمين، فإذا ضرب بسيفه سـبعاً يقال: يمتحن بسيفه ليدفع عن نفسه، وقد يقده وقد لا يقده، وأما قولنا ليظهر منه ذلك: فلأن من يضرب سبعاً بسيفه ليدفعه عن نفسه، لا يقال إنه ممتحن؛ لأن ضربه ليس لظهور أمر متعين؛ إذا علم هذا فنقول: ا تعالى إذا أمرنا بفعل يظهر بسببه أمر غير متعين، وهو إما الطاعة أو المعصية في العقول ليظهر ذلك، يكون ممتحناً، وإن كان عالماً به؛ لكون عدم العلم مقارناً فينا لابتلائنا؛ فإذا ابتُلينا، وعدم العلم فينا مستمر ُأمرنا، وليس من ضرورات الابتلاء؛ فإن قيـل: الابتلاء فائدته حصول العلم عند المبتلي؛ فإذا كان ا تعالى عالماً فأية فائدة فيه؟ نقول: لـيس هذا يختص بالابتلاء؛ فإن قول القائل: لِم ابتلى؟ كقول القائل: لِم عاقب الكافر وهو مسـتغن؟ ولِم خلق النار محرقة وهو قادر على أن يخلقها بحيث تنفع ولا تضر؟ وجوابه: لا يسأل عمـا يفعل، ونقول حينئذٍ ما قاله المتقدمون: إنه لظهور الأمر المتعين لا له، وبعـد هـذا فنقـول: المبتلي لا حاجة له إلى الأمر الذي يظهر من الابتلاء؛ فإن الممتحن للسيف فيما ذكرنا مـن الصورة لا حاجة له إلى قطع ما يجرب السيف فيه حتى أنه لو كان محتاجاً، كما ضربنا مـن مثال دفع السبع بالسيف، لا يقال إنه يمتحن، وقوله: ﴿**ليبلو بعضكم بـبعض**﴾ إشارة إلـى عدم الحاجة تقريراً لقوله: ﴿ **ذَلِكَ ولو يشاء** الله لَانْتَصر مِنْهم﴾ [محمد: ٤] »[1].

وما هذا الابتلاء بالأوامر والنواهي التي كلف ا تعالى بها عباده وهو عالم بما سيكون مـن أعمالهم، إلا صورة ابتلاءٍ بالنسبة إليه ﷻ لا حقيقة ابتلاءٍ[2]، وذلك مثال الأسباب التي خلقهـا الباري ﷻ، ظاهر الحال يدل على أن لها تأثيراً وفاعلية، والحقيقة خلاف ذلك، لأن من كان له الخلق كان له الفعل، ومن كان مخلوقاً فليس له ذلك، فا ﷻ هو الفعال؛ لأنه خالق الأشـياء والأسباب، وهي مفتقرة إليه في الإيجاد والبقاء، بينما الخالق مستغن عن جميع من خلق، وما حالها بجانب قدرة ا ﷻ إلا كما قال العلماء: ا يفعل عندها لا بها، فلا المـاء يـروي، ولا الطعام يشبع، ولا النار تحرق؛ وما الري والشبع والإحراق إلا من فعل ا ﷻ، وما الأسـباب إلا ستار، أخفى الخالق ﷻ قدرته خلفها؛ ليبتلي بها عباده، فمن علم هذا فاز ونجا؛ لأنـه قـد

(١) مفاتيح الغيب ٤٦/٢٨.
(٢) المرجع السابق ١٦٩/٢٢-٤ /٣٤ –٤٣/١٥.

أدرك الحقيقة، ومن نسب النفع والضر إلى الأسباب،خاب وخسر؛ لأنه عمي عن الحقيقة[1].

وأشار المفسرون من الصحابة ومن بعدهم إلى حقيقة الابتلاء تلك، من ذلك ما قالوه عند قوله تعالى: ﴿ **ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم**﴾[محمد: ٣١]. أي: نعاملكم معاملة المختبرين، حتى نعلم: حتى نميز، قاله ابن عباس، وقال علي: حتى نرى. وهذا العلم هو العلم الذي يقع به الجزاء، لأنه إنما يجازيهم بأعمالهم لا بعلمه القديم، فالمعنى: حتى نعلم المجاهدين علم شهادة؛ لأنهم إذا أُمروا يشهد منهم ما عملوا؛ لأن الجزاء بالثواب والعقاب يقع على علم الشهادة لا على علم الغيب، وآخر الآية أكد المعنى الذي تضمنته بدايتها، وهو قوله: ونبلو أخباركم. أي نختبرها ونظهرها[2].

قال القرطبي عند قوله تعالى: ﴿**وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم**﴾ [آل عمران: ١٥٤]: «والمعنى: ليعاملكم معاملة المختبر، وقيل: ليقع منكم مشاهدة ما علمه غيباً»[3].

وعند قوله ﷻ: ﴿**ليبلوكم في ما آتاكم**﴾[الأنعام: ١٦٥]، قال: «أي ليظهر منكم ما يكون غايته الثواب والعقاب، ولم يزل بعلمه غنياً؛ فابتلى الموسر بالغنى وطلب منه الشكر، وابتلى المعسر بالفقر وطلب منه الصبر»[4].

وبين الشاطبي أن الأسباب ما وضعت إلا للابتلاء، كي يظهر مقتضى العلم السابق للعيان، قال رحمه الله تعالى: «وترك الالتفات إلى المسبب له ثلاث مراتب، إحداها: أن يدخل في السبب من حيث هو ابتلاء للعباد وامتحان لهم؛ لينظر كيف يعملون...وهذا مبني على أن الأسباب والمسببات موضوعة في هذه الدار ابتلاء للعباد وامتحاناً لهم، فإنها طريق إلى السعادة أو الشقاوة... لتظهر تصاريفهم تحت حكم القضاء والقدر، ولتجري أعمالهم تحت حكم الشرع، ليسعد من سعد ويشقى من شقي، وليظهر مقتضى العلم السابق والقضاء المحتم الذي لا مرد

[1] انظر الموافقات للشاطبي ١/ ٢٠٢- ٢٠٣.
[2] الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٥٣/١٦.
[3] المرجع السابق ٣٤٣/٤.
[4] الرجع السابق ١٥٨/٧.

له، فإن ا غني عن العالمين ومنزه عن الافتقار في صنع ما يصنع إلى الأسباب والوسـائط لكن وضعها للعباد ليبتليهم فيها»[١].

وقال الآلوسي عند قوله تعالى: ﴿ **ولنبلونكم بشيءٍ من الخوف**...﴾[البقرة: ١٥٥]: «والمـراد: لنعاملكم معاملة المبتلي والمختبر، ففي الكلام استعارة تمثيلية؛ لأن الابتلاء حقيقـة لتحصـيل العلم وهو محال من اللطيف الخبير»[٢].

وذهب الإمام الطبري وتبعه أبو حيان إلى أن الابتلاء وإن كان في الظاهر مضـافاً إلـى ا تعالى فالمراد به غيره[٣]، ففي معرض بيان معنى قوله تعـالى: ﴿ **وليبتلـي اللـه مـا فـي صدوركم**...﴾ [آل عمران: ١٥٤]، قال: «وقد دللنا فيما مضى على أن معاني نظـائر قولـه: ﴿**وليبتلي الله** ﴾، أو ﴿ليعلم ا ﴾ وما أشبه ذلك، وإن كان في ظاهر الكلام مضـافاً إلـى ا الوصف به؛ فمراده: أولياؤه أهل طاعته، وأن معنى ذلك: ليختبر أولياء ا وأهـل طاعتـه، الذي في صدورهم من الشك فيعرفوكم من أهل الإخلاص واليقين، ﴿وليمحص ما في قلوبكم﴾ يقول: وليتبينوا ما في قلوبكم من الاعتقاد ولرسوله ﷺ من العداوة أو الولاية»[٤].

وأشار أبو حيان إلى استحالة إرادة حقيقة الابتلاء علـى ا تعـالى، فعنـد قولـه تعـالى: ﴿**ولنبلونكم بشيءٍ من الخـوف**..﴾[البقرة: ١٥٥]، قال: «الابتلاء: هو الاختبار؛ ليعلم ما يكون من حال المختبَر، وهذا مستحيل بالنسبة إلى ا تعالى، وإنما معناه هنا الإجابـة، والضـمير الذي للخطاب، قيل: هو للصحابة، خاطبهم ا بذلك بعد الهجرة وأخبرهم بذلك قبـل وقوعـه تطميناً لقلوبهم؛ لأنه إذا تقدم العلم بالواقع أُستعد له، بخلاف الأشياء التي تفاجئ؛ فإنها أصعب على النفس، وزيادة ثواب وأجر على ما يحصل لهم من انتظار المصيبة، وإخباراً بمغيب يقع وفق ما أخبر...، وقيل: هؤلاء أهل مكة خاطبهم إعلاماً أنه أجاب دعوة نبيه ﷺ فيهم وليبقـوا يتوقعون المصيبة فتتضاعف عليهم المصيبات، وقيل: هو خطاب للأمة...وقيل: هو خطـاب

---

(١) الموافقات ١ /٢٠٣.
(٢) روح المعاني ٢ /٢٢.
(٣) أي أن النتيجة المنتظرة هي لغيره من الملائكة أو البشر، والطبري وأبو حيان ذهبا إلى أحد الوجهين الذين ذكرهما الرازي.
(٤) جامع البيان ١٤٢/٤ , ٦١/٢٦.

عام...»[1].

وحاصل حقيقة الابتلاء: أن ا ﷻ يعامل عباده معاملة المختبِر؛ لأنه أقام الحياة الدنيا على اتخاذ الأسباب، مع أن علمه قديم، ويكون الجزاء على ما يقع مشاهدة، لا على مقتضى العلم السابق، هذا من وجه، والوجه الآخر، أن ا ﷻ يختبر عباده لتحصل المعرفة للآخرين من الملائكة أوالبشر. وهذان الوجهان ذكرهما الرازي والقرطبي والشاطبي، في حين أشار الطبري وأبو حيان إلى الوجه الثاني فقط. والأرجح ما قاله الفريق الأول للعلة التي ذكروها.

أشكال الابتلاء وصوره:

للابتلاء أشكال متعددة من حيث ما يقع عليه، وله صور مختلفة من حيث تنوعه.

أولاً: أشكال الابتلاء (وذلك من حيث ما يقع عليه):

علمنا فيما سبق أن الابتلاء لازم لكل التكاليف وواقع على جميع المكلفين، وهذا التكليف له شكلان: فإما أن يتجه إلى العقول والقدرات، لتكون هي المحل، وإما أن يتجه إلى النفوس، فتكون هي المحل.

الشكل الأول: ابتلاء العقول:

خلق ا تعالى الإنسان وكلفه، ومن مقتضيات التكليف وموجبات الابتلاء، أن جعل الأسباب حجاباً لقدرته، وستاراً لعظمته، فمن وقف عند ظاهر الأمر نسي الخالق وعظم المخلوق واعتقد أن للأسباب تأثيراً، وبعد أن أقام الخالق ﷻ الأدلة الواضحة على عظمته والبراهين الساطعة على قدرته، مع ما زود به البشر من فطر سليمة، وما اتبعه من إرسال الرسل الصادقين؛ مختبراً بذلك عقولهم ومبتلياً ملكاتهم وممتحناً نفوسهم، فمن يعمل بالدليل، ويتبع البرهان، ويستجيب لنداء الفطرة، ويصدق الرسل؛ فسيعلم أن الحاكمية ﷻ، ومن رفض الدليل، وخالف البرهان، واتبع الهوى، وكذب الرسل؛ فسيجحد الخالق ويؤله المخلوق، من الأسباب والأشخاص. قال تعالى: ﴿ **إنا خَلَقْنَا**

[1] البحر المحيط ١٢٣/١.

الإنْسان مِن نُطْفَةٍ أَمشَاجٍ نَبتَلِيهِ فَجعلْنَاه سمِيعًا بصِيرًا ۞ إِنا هديناه السـبِيلَ إِمـا شَاكِرًا وإِما كَفُورا﴾ [الإنسان: ٢-٣]، قال الإمام الطبري: «فالابتلاء بالخلق مع صحة الفطرة، وسلامة العقل من الآفة»[(١)]. وقد بين ا تعالى أنه أبدع الكون ابتلاء للعقـول واختباراً للنفوس، قال عز وجل: ﴿ **وهو الَّذِي خَلَقَ السمواتِ والْأَرض فِي سِتةِ أَيـامٍ وكَان عرشُه علَى الْماءِ لِيبلُوكُم أَيكُم أَحسن عملًا**﴾ [هود: ٧]، قـال القرطبـي: «أي خلق ذلك ليبتلي عباده بالاعتبار والاستدلال على كمال قدرته وعلى البعث، وقال قتادة: معنى أيكم أحسن عملاً: أيكم أتم عقلاً...وروي عن النبي ﷺعندما تلا هذه الآية قـال: (أيكم أحسن عقلاً وأورع عن محارم ا ، وأسرع في طاعة ا)»[(٢)].

وا تعالى يبتلي عباده بالآيات الكونية الدالة على عظمته؛ لتكون عبرة لمن كان له قلـب أو ألقى السمع وهو شهيد، وما قصة نوحعليه السلام مع قومه وما تبعه من ركوب من آمـن بـه ونجاتهم وهلاك من خالفه وغرقهم بالماء؛ إلا آية كونية فيها تذكير بقدرة ا ﷻ؛ وهـذه الوقائع ما هي إلا امتحان للفريقين؛ لذلك كان التعقيب بقوله تعالى: ﴿ **إِن فِي ذَلِك لَآيـاتٍ وإِن كُنا لَمبتَلِين**﴾ [المؤمنون: ٣٠] أي: وكنا مختبريهم بتذكيرنا إياهم بآياتنا؛ لننظـر مـا هم فاعلوه قبل نزول عقوبتنا بهم[(٣)].

الشكل الثاني: ابتلاء النفوس:

بعد أن يجد الإنسان نفسه أمام أدلة من الكون ساطعة، وبراهين من النفس جلية، وإلحاحـاً من الفطرة، وصدقاً من الرسل، عندئذٍ لا يجد العاقل بداً من الخضـوع لجـلال الخـالق ومفراً من الاستجابة لأوامره ﷻ. وبعد فوزه في الامتحان العقلي، يجد امتحاناً آخر فـي انتظاره، وهو امتحان النفوس؛ لأن الإيمان قول وعمـل، وتصـديق بالجنـان، وعمـل بالأركان. فعند قوله تعالى: ﴿ **ولَنَبلُونَّكُم بِشَيءٍ مِن الْخَوفِ والْجوعِ ونَقْصٍ مِن الْأَموالِ والْأَنْفُسِ والثَّمراتِ وبشِّرِ الصابِرِين**﴾ [البقرة: ١٥٥]، قـال ابـن عبـاس: «أخبـر ا

---

(١) جامع البيان ٢٠٥/٢٩.
(٢) الجامع لأحكام القرآن ٨/٩. والحديث سبق تخريجه، وانظر جامع البيان ٥/١٢.
(٣) جامع البيان ٢٨/١٨.

المؤمنين أن الدنيا دار بلاء، وأنه مبتليهم فيها، وأمرهم بالصبر، وبشرهم، فقـال: وبشـر الصابرين، ثم أخبرهم أنه فعل هكذا بأنبيائه وصفوته لتطيب أنفسهم»، قال الإمام الطبري: «فا تعالى قال لنبيه: بشر الصابرين على امتحاني بما امتحنتهم به، والحافظين أنفسـهم عن التقدم على النهي عما أنهاهم عنه، والآخذين أنفسهم بأداء فرائضي، ثم خاطب نبيـه ﷺبأن يبشر الصابرين، وهم الذين يتصفون بأنهم: يعلمون أن جميع ما بهم من نعمة فمـن ا ؛ فيقرون بعبوديته، ويوحدونه بالربوبية، ويصدقون بالمعاد والرجوع إليه؛ فيستسلمون لقضائه، ويرجون ثوابه، ويخافون عقابه، ويقولون عند ابتلائهم بشيء: نحن مماليك ربنا، ونحن عبيده، وإنّا إليه بعد مماتنا سائرون»[١].

وقد بين الشاطبي شكلي الابتلاء وصفة كل واحد منهما؛ حيث قال: «...الأسباب والمسـببات وضعت في هذه الدار ابتلاءً للعباد وامتحاناً لهم، فهي طريق إلى السعادة أو الشـقاوة وهـي على ضربين: أحدهما: ما وضع لابتلاء العقول، وذلك العالم كله؛ من حيث هو منظور فيـه، وصنعة يستدل بها على ما وراءها. والثاني: ما وضع لابتلاء النفوس، وهو العالم كله أيضـاً؛ من حيث هو موصل إلى العباد المنافع والمضار؛ ومن حيث هو مسخر لهـم، ومنقـاد لمـا يريدون فيه؛ لتظهر تصاريفهم تحت حكم القضاء والقدر؛ ولتجري أعمالهم تحت حكم الشرع؛ ليسعد بها من سعد، ويشقى من شقي؛ وليظهر مقتضى العلم والقضاء المحتم الذي لا مرد له؛ فإن ا غني عن العالمين ومنزه عن الافتقار في صنع ما يصنع إلى الأسباب والوسائط؛ لكن وضعها للعباد ليبتليهم فيها، والآيات الدالة على ذلك كثيرة...»[٢].

ثانياً: صور الابتلاء.(وذلك من حيث تنوعه):

إن قوام الحياة تكاليف وأعباء تواجه الإنسان في أثناء رحلته الدنيوية؛ حيث ينتج عنها مشقات تكون ابتلاءً له، وهي على نوعين:

إما صعوبات: يراد من الإنسان أن يصمد لها ويصبر عليها.

١- المرجع السابق ٤٢/٢.
٢- الموافقات ٢٠٣/١.

وإما خيرات: يراد منه الشكر عليها والكف عن الاستغراق فيها.

وكلاهما داخل تحت قاسم مشترك من مشقات الحياة وشدائدها[1]، مصداقه قوله ﷻ: ﴿ **ونَبلُوكُم بِالشر والْخَيرِ فِتْنَةً وإلينا تُرجعون**﴾ [الأنبياء: ٣٥]. وقد سمى ا تعالى كلاً من بسط الـرزق وتقديره بلاء؛ حيث قال: ﴿ **فَأما الإِنْسان إِذَا ما ابتَلاه ربـه فَأَكْرمـه ونَعمـه فَيقُـولُ ربـي أَكْرمن۝وأَما إِذَا ما ابتَلاه فَقَدر عليهِ رِزقَه فَيقُولُ ربي أَهانَن** ﴾ [الفجـر: ١٥-١٦]. وبـين الفخر الرازي وجه اجتماع الابتلاء عند بسط الرزق وعند تقديره؛ حيث قال: «كيـف سـمى بسط الرزق وتقديره ابتلاء؟ والجواب: لأن كل واحد منهما اختبار للعبد، فإذا بسط لـه فقـد اختبر حاله، أيشكر أم يكفر؟ وإذا قدر عليه فقد اختبر حاله أيصبر أم يجزع؟ فالحكمة فيهمـا واحدة»[2].

وا تعالى يبتلى بالنعم، كما يبتلي بالنقم، والمكلف مطالب: بالشكرعلى النعم، وأداء الحقـوق التي فيها، والصبر على النقم، والرضا بما قُدر عليه فيها، قال ﷻ:﴿ **ورفَع بعضَكُم فَوقَ بعضٍ درجاتٍ لِيبلُوكُم فِي ما ءاتَـاكُم**﴾ [الأنعام: ١٦٥]، فابتلى الموسر بالغنى وطلب منـه الشـكر، وابتلى المعسر بالفقر وطلب منه الصبر[3].

والابتلاء بالنعم ليس أقل خطراً من الابتلاء بالنقم، فمن اعتلى المناصـب، وتكدسـت عنـده الأموال، وأحاطت به المغريات، وتأججت منه الشهوات، فهل يسهل عليه السـير بـين تلـك الأشواك؟ لذلك قال العلماء: الغني الشاكر أفضل من الفقير الصابر؛ لأن الصبر على الموجود أصعب من الصبر عن المفقود؛ فالموجود فيه مثيرات تغري للأخذ به، أما المفقود فـلا مثيرات تدعو إليه؛ لهذا افتتن أساطين بسبب الملك والمال. فهذا فرعون أهلكه الملك، قال ﷻ حاكياً مقالته: ﴿ **ونَادى فِرعون فِي قَومِهِ قَالَ ياقَومِ أَلَيس لِي ملْك مصر وهذِهِ الْأَنْهار تَجـرِي مِن تَحتِي أَفَلَا تُبصِرون** ﴾ [الزخرف: ٥١] ثم تدرج بهم، فقال: ﴿ **وقَالَ فِرعون ياأَيها الملَـأُ ما علِمتُ لَكُم مِن إِلَهٍ غَيـرِي**﴾ [القصص: ٣٨]، فعندما لم يجد اعتراضاً، بل لمس قبولاً، قال:

---

[1] الإنسان وعدالة ا في الأرض د. محمد سعيد رمضان البوطي ص٣٦.
[2] مفاتيح الغيب ١٧٠/٢٨.
[3] الجامع لأحكام القرآن ١٥٨/٧.

﴿ **فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ۝ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى**﴾[النازعـات: ٢٤- ٢٥]. وذاك قارون أطغاه المال الكثير، قال تعالى: ﴿ **إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ** ...﴾ وقد نسب إلى نفسه القـدرة علـى جمع هذا المال الوفير: ﴿**قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي**....﴾ ثم كانـت نتيجـة البغـي: ﴿ **فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ**﴾ [القصص: ٧٦- ٧٨- ٧٩]. ففرعون ابتلاه ا بالملـك، فكـان سبب هلاكه، وقارون بالمال، فكان سبب خسرانه.

وأكد هذا المعنى الفيروزآبادي - صاحب القاموس المحيط– حيث قال: «اختبـار ا تعـالى لعباده تارة بالمسار ليشكروا، وتارة بالمضار ليصبروا، فصارت المنحة والمحنة جميعاً بلاء، فالمحنة مقتضية للصبر، والمنحة مقتضية للشكر، والقيام بحقوق الصبر أيسر من القيام بحقوق الشكر، فصارت المحنة أعظم البلاءين، ولهذا قال عمر: (بلينا بالضراء فصـبرنا، وبلينـا بالسراء فلم نصبر)، وقال علي: (من وسع عليه في دنياه فلم يعلم أنه قد مكـر بـه فهـو مخدوع من عقله)»[1].

وأشار إلى هذا المعنى الإمام فخر الدين الرازي؛ حيث بين ما يقع عليه الابتلاء، بقولـه: «الابتلاء لا يتحقق إلا مع التكليف؛ فالآية[2] دالة على حصول التكليف، وتدل علـى أنـه سبحانه وتعالى لم يقتصر بالمكلف على أمر ونهي، وإن كان فيه صـعوبة؛ بـل ابـتلاه بأمرين: أحدهما: ما سماه خيراً، وهو نعم الدنيا من الصحة واللذة والسرور والتمكين من المرادات، الثاني: ما سماه شراً: وهو المضار الدنيويـة مـن الفقـر والآلام وسـائر الشدائد النازلة بالمكلفين؛ فبين ا تعالى أن العبد مع التكليف يتردد بين هاتين الحـالتين؛ كي يشكر على المتع، ويصبر في المحن؛ فيعظم ثوابه إذا قام بما يلزم»[3].

وكما يبتلي ا ﷻ عبده بالصنع الجميل؛ ليختبر شكره، وبالبلوى التي يكرهها؛ ليمتحن صبره،

---

[1] بصائر ذوي التمييز في لطائف كتاب ا العزيز، للفيروزآبادي ٢٧٤/٢.
[2] أي قوله تعالى: (ونبلوكم بالشر والخير فتنة) (الأنبياء ٣٥).
[3] مفاتيح الغيب ١٦٩/٢٢.

يختبره بالحلال والحرام، وبالشدة والرخاء[1]، وكما يبتليه بالرخاء في العـيش والسـعة فـي الرزق؛ يخبره بالشدة في العيش والشظف فيه، وينزل المصائب عليه، ويوقع الرزايا به؛ ومـا ذلك إلا ليعود إلى ربه ويثوب إلى رشده، يدل عليه قولـه تعـالى: ﴿ **وبلونـاهم بالحسـنات والسيئات لعلهم يرجعون** ﴾ [الأعراف: ١٦٨][2].

ويتنوع الابتلاء أيضاً إلى صور أخرى: فقد يكون خوفاً، أو جوعاً، أو نقصـاً فـي الأمـوال أو الأنفس أوالثمرات، وذلك بضياع الأموال، وموت الذريـة، وهـلاك الثمـرات، قـال ﷻ: ﴿ **ولنبلونكم بشيءٍ من الخوف والجوع ونقصٍ من الأموال والأنفس والثمـرات** ﴾ [البقـرة: ١٥٥]

سر تنوع البلاء:

لا بد أن يرد في هذا المقام سؤالان:

الأول: لِم هذا التنوع في صور الابتلاء، بين خير وشر، ونعمة ونقمة؟.

الثاني: لِمِ نصيب فلان النعم، في حين نصيب الآخر النقم؟.

أما جواب السؤال الأول:

تنوع الفتنة أمر ضروري؛ ذلك ليتحقق جوهر الابتلاء، ففتنة الفقر لا وجود لهـا إلا بجانـب الغنى، وفتنة المال وسياسة إنفاقه لا تتم إلا مع وجود الفقر، ولولا وجود المرض وآلامه، لما تجلت نعمة الصحة والعافية، ولولا ما يعلمه الناس من لذة العافية وسلامة الأجسام، لما اشـتد خوفهم على أنفسهم من الأسقام والآلام؛ فمظاهر الحياة لا تتميز إلا إذا قورنـت بأضـدادها، وكما قيل: وبضدها تتميز الأشياء، وقالوا: العافية تاج على رؤوس الأصحاء، لا يراه إلا مـن فقده.

[1] الجامع لأحكام القرآن ٣٨٧/١ – ٢٠٤/١٠ _ ٨٧/١١ – ٢٠٦/١٣.
[2] جامع البيان ١٠٤/٩.

وأما جواب السؤال الثاني:

يعود التباين في الابتلاء بين النعم والنقم إلى حكمة الخالق في خلقه، إذ هو يعلم ما ينفعهم مما يضرهم، وما يصلحهم مما يفسدهم، فقد تكون النعم الدواء الناجع لبعضهم، بينما تكون النقم الدواء النافع لآخرين، وقد يكون المال الكثير، العلاج المفيد لصلاح بعضهم، بينما كثرته تفسد آخرين، وإذا كانت الصحة تصلح بعضهم، ففقدهم لها قد يفسدهم، بينما هي تطغي الآخرين؛ إذ يعرضون عن ربهم، وفقدهم لها قد يصلحهم؛ إذ يتوجهون إلى خالقهم.

وإن استمرار الصحة وبقاء العافية، قد يكون عنصر بغي وشر بالنسبة لبعضهم، على حين قد يكون هذا الاستمرار نفسه وسيلة خير وسبب استقامة بالنسبة لآخرين؛ وذلك كما ﷻ:

﴿ **وعسى أن تكرهوا شيئًا وهو خيرٌ لكم وعسى أن تُحِبوا شيئًا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون** ﴾ [البقرة: ٢١٦].

وأكد رسول ا ﷺ هذا المعنى؛ حيث قال فيما يرويه عنه حذيفة بن اليمان ﷺ: (إن ا عـز وجل ليتعاهد وليه بالبلاء كما يتعاهد المريض أهله بالطعام، وإن ا ليحمي عبده الـدنيا كمـا يحمى المريض الطعام)[1].

موقف المكلف من البلاء:

تختلف مواقف المكلف من البلاء، فعند حلوله، يطالب بالشكر وبالصبر ثم الرضا، وقبـل أن يحل،له دفعه وعدم طلبه إن لم يكن من مقتضيات التكاليف.

---

(1) رواه البيهقي في شعب الإيمان (١٠٤٥٢) ٣٢١/٧، وله شواهد عن قتادة بن النعمان (١٠٤٤٨) وعن رافع بن خديج (١٠٤٤٩) وعن محمد بن لبيد (١٠٤٥٠)، وأخرج البيهقي رواية أخـرى لحـديث حذيفـة بـرقم (١٠٤٥١) قال المناوي: (أخرجه البيهقي عن حذيفة وفيه الحسين الجعفي، قال الـذهبي: مجهـول متهم) فيض القدير ٢٩٩/٢. أقول: الشواهد الأخرى التي أخرجها البيهقي تقوي رواية حسـين الجعفـي، وقال المناوي في معنى الحديث: (إن ا تعالى يحمي عبده المؤمن، أي: يمنعه، كما يحمي الراعـي الشفيق، أي: الكثير الشفقة، أي: الرحمة والرأفة، غنمه عن مراتع الهلكة؛ وذلك من غيرته تعـالى علـى عبده؛ فيحميه في آخرته، ويحتمل أن المراد: يحميه من الدنيا ودوام الصحة، ورب عبد تكون الخيرة لـه في الفقر والمرض , ولو كثر ماله وصح، لبطر وطغى: (كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى) (العلق ٦-٧) , فيض القدير للمناوي ٢٩٩/٢، وانظر هذا المعنى في إحياء علوم الدين للغزالـي ١٢٨/٤، والإنسان وعدالة ا في الأرض د. البوطي ص٧٠-٧٣.

أولاً: الشكر والصبر.

يأمر ا تعالى عباده بالشكر على النعم، وبالصبر على النقم، فبعد أن ذكـر منتـه بإرسـال رسوله ﷺ، أمر بالشكر على تلك النعمة؛ حيث قال: ﴿ **كما أرسلنا فيكم رسـولا مـنكم يتلـو عليكم ءاياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون ۞ فـاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون**﴾، وبعد أن أخبر بوقوع الابتلاء: ﴿ **ولنبلونكم بشـيءٍ مـن الخوف**...﴾ أمر بالصبر عليه، إذ قال: ﴿ **وبشـر الصـابرين** ﴾[البقـرة: ١٥١-١٥٢-١٥٥].

فا تعالى أنعم أولاً، فأمر بالشكر، ثم ابتلى، فأمر بالصبر(١)، فاجتمع بذلك الأمـر بالشـكر، والأمر بالصبر، وهما من جملة التكاليف؛ لينال العبد معاً درجة الشاكرين ودرجة الصابرين؛ فيكمل إيمانه؛ وذلك كما روى عن رسول ا ﷺ أنه قال: (الإيمان نصفان: نصف شكر، ونصـف صبر)(٢).

والعبد في حياته يتقلب بين محبوبات يسعى فيها، ومكروهات يفر منها، ولا يمكن له أن يحقق كل ما يطلب أو ينفلت من كل ما يكره، فلا بد له من الشكر والصبر على الحال التي هو فيها؛ فيشكر على النعمة إذ لم تأت أقل مما هي عليه، ويصبر لأنها لم تكن كما أراد، فما من أحـد إلا ويتمنى المزيد، ويسعى نحو الأكثر؛ وعليه أن يصبر على المصيبة على الشكل الذي أتت عليه، ويشكر إذ لم تأت أكثر مما هي عليه؛ لهذا لا بد من اجتماع الشكر والصـبر علـى أي حال كان فيها المكلف.

وبين الإمام الغزالي وجه اجتماع الشكر والصبر على حال واحدة؛ حيث قال: «فهما متضادان فكيف يجتمعان؟ إذ لا صبر إلا على غم، ولا شكر إلا على فرح! وإن الشيء قد يغتم به مـن

---

(١) مفاتيح الغيب ١٤٩/٤.
(٢) أخرجه القضاعي في مسند الشهاب عن أنس ﷺ (٢٥٩) ١٢٧/١، والحكيم الترمذي في نـوادر الأصـول ١١٠/٢، والديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب (٣٧٨) ١ /١١١. قال المناوي: أخرجه البيهقـي عـن أنس، وفيه يزيد الرقاشي، قال الذهبي وغيره: متروك. ورواه القضاعي بهذا اللفظ، وذكر بعـض شراحه أنه حسن. فيض القدير ١٨٩/٢.

وجه، ويفرح به من وجه آخر؛ فيكون الصبر من حيث الاغتمام، والشكر من حيث الفرح -ثم بين أنه في كل بلاء خمسة أمور ينبغي أن يفرح العاقل لأجلها ويشكر عليها– وهي:

أنّها لم تكن أكبر مما هي عليه، فكل مصيبة يتصور أن يكون أكبر منها.

وأنّها لم تكن في دينه، فالنبي ﷺ كان يقول في دعائه: (... ولا تجعل مصيبتنا في ديننـا)[1]. وقال عمر بن الخطاب ﷺ: (ما ابتُليت ببلاء إلا كان تعالى علي فيه أربع نعم: إذ لم يكـن في ديني، وإذ لم يكن أعظم منه، وإذ لم أحرم الرضا به، وإذ أرجو الثواب عليه). ومـا مـن إنسان أصيب ببلاء إلا ولو تأمل حق التأمل في سوء أدبه ظاهراً أو باطناً في حق مولاه لكان يرى أنه يستحق أكثر مما أصيب به عاجلاً أو آجلاً.

وما من عقوبة إلا وكان يتصور أن تُؤخر إلى الآخرة؛ فمصائب الدنيا تنقطع، وهـي أخـف بكثير من مصائب الآخرة التي لا تنقطع؛ فمن عجلت عقوبته في الدنيا فلا يعاقب ثانيـاً فـي الآخرة، وذلك كما قال رسول ا ﷺ: (من أصاب في الدنيا ذنباً فعوقب به، فا أعدل من أن يثني عقوبته على عبده، ومن أذنب في الدنيا ذنباً فستره ا عليه، فا أكرم من أن يعود فـي شيء قد عفا عنه)[2].

والبلية التي وقعت والمصيبة التي حلت لا بد أن تحصل؛ لأنها مكتوبة علـى المكلـف منـذ الأزل؛ فالفراغ منها بعد حصولها هو نعمة بحد ذاته؛ لما يشعر به من راحـة بعـد خلاصـه منها.

ولأن ثوابها أكبر منها؛ فمصائب الدنيا طرق إلى الآخرة وذلك من وجهين:

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات عن ابن عمر قال: (قلما كان رسول ا ﷺ يقوم من مجلس حتى يدعو بهؤلاء الدعوات لأصحابه: (اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول بيننا وبين معاصـيك...الحـديث) قـال الترمذي: حسن غريب , (٣٥٠٢) ٥٢٨/٥ , وأخرجه النسائي في السنن الكبرى (١٠٢٣٤) ١٠٦/٦.وفي عمل اليوم والليلة (٤٠١)٣١٠/١.

(٢) أخرجه الترمذي عن علي ﷺ في كتاب الإيمان عن رسول ا , باب ما جاء لا يزني الزاني وهـو مـؤمن (٢٦٢٦)١٦/٥, وابن ماجه، في كتاب الحدود، باب الحد كفارة (٤٠٢٦), والبيهقي في السـنن الكبـرى ٣٢٨/٨ وفي مسند البزار (٤٨٢)١٢٥/٢ وفي المسند (٧٧٥) ٩٩/١، ومسند أبي يعلـى (٤٥١) ٣٥٣/١ و(٦٠٨) ٥٨/١ ومسند عبد بن حميد (٨٧) ٥٨/١ ومسند الشهاب (٥٠٣) ٣٠٣/١.

الأول: من الوجه الذي يكون به الدواء الكريه نعمة في حق المريض، ويكون المنع من اللعب نعمة في حق الصبي؛ فلو خُلي واللعب فإن ذلك يمنعه من العلم والأدب، ويوم القيامة يشـكر العباد ربهم على البلايا التي أصابتهم في الدنيا للثواب الذي يجدونه عليها في الآخـرة، كمـا يشكر الصبي أباه على تأديبه إياه، وأستاذه على تعليمه له، وقد قال رسول ا ﷺ لرجل حـين سأله: أي الأعمال أفضل؟: (لا تتهم ا في شيءٍ قضاه عليك)[1].

الثاني: إن رأس الخطايا المهلكة حب الدنيا، ورأس أسباب النجاة، التجافي بالقلـب عـن دار الغرور؛ فمن كثرت نعمه على وفق مراده من غير امتزاج ببلاء ومصيبة، أورثه ذلك طمأنينة في الدنيا وأنس فيها، فإذا جاءه الموت عظم عليه فراقها، وذلك بعكس من ألمت بـه المحـن، وحلت عليه المصائب؛ فلن يحزن على الدنيا، وسيسهل عليه فراقهـا، فكـل بـلاء يصـيب الإنسان، مثاله كالدواء الذي يؤلم في الحال وينفع في المآل؛ فمن عرف هذا تُصـور منـه أن يجمع بين الشكر والصبر عندما يحل به بلاء، ومن لم يعرف هذا،لم يتصور منـه الصـبر فضلاً عن الشكر؛ لأن العمل يتبع المعرفة»[2].

وا ﷻ وعد الصابرين أجراً بغير حساب؛ حيث قال: ﴿**إنما يـوفى الصـابرون أجـرهم بغيـر حساب**﴾[الزمر: ١٠]. وبشرهم بمغفرة منه ورحمة، وطمأنهم أنهم على طريق الهداية سـائرون، قال ﷻ: ﴿ **وبشر الصابرين ۞الذين إذا أصابتهم مصيبةٌ قالوا إنا لله وإنا إليـه راجعـون ۞ أولئك عليهم صلواتٌ من ربهم ورحمةٌ وأولئك هم المهتدون** ﴾ [البقـرة: ١٥٦- ١٥٧]. ومـن حمد ا تعالى على ما أصيب به من بلاء، محيت خطاياه، كما جاء في الحديث القدسي، عن شداد بن أوس، قال: سمعت رسول ا ﷺ يقول عن ا ﷻ: (إني إذا ابتليت عبداً من عبـادي مؤمنـاً

[1] الحديث رواه عبادة بن الصامت ﷺ, قال: (بينا رسول ا ﷺ إذ جاءه رجل، فقـال يارسـول ا : أي الأعمال أفضل, قال: الإيمان با وتصديق به، وجهاد في سبيل ا ، وحج مبرور، فلما ولى الرجـل قال: وأهون عليك من ذلك: إطعام الطعام, ولين الكلام، والسماحة، وحسن الخلق،، فلما ولى قـال: أهون عليك من ذلك: أن لا تتهم ا في شيء قضاه ا عليك) أخرجه البيهقي في شـعب الإيمـان، فصل: أشد الناس بلاء، (١٠١٢٦) ٢٣٢/٧ وعزاه الهيثمي إلـى الطبرانـي, وقـال: رواه بإسنادين في أحدهما ابن لهيعة وحديثه حسن وفيه ضعف، وفي الآخر: سويد بن إبراهيم، وثقه ابـن معين في روايتين، وضعفه النسائي، وبقية رجالهما ثقات، مجمع الزوائد ٢٧٨/٥.
[2] إحياء علوم الدين ١٢٧/٤_ ١٣٠ بتصرف.

فحمدني على ما ابتليته؛ فإنه يقوم من مضجعه ذلك كيوم ولدته أمه من الخطايا، ويقول الرب ﷻ: أنا قيدت عبدي وابتليته واجروا له كما كنتم تجرون له)[١].

ثانيا: دفع البلاء:

لم تأت الشريعة لإعنات المكلفين، أو لإنزال المشقة بهم، بل جـاءت لرفـع الحـرج عـنهم، قال تعالى: ﴿ **وما جعلَ عليكُم فِي الدين مِن حرج**﴾ [الحج: ٧٨]، فـالأذى الواقـع والمشـقة الحاصلة، والمصيبة النازلة؛ إنما تقتضيها ضرورات التكليف الذي حملـوه والابـتلاء الـذي امتُحنوا به، وهو بمنزلة الدواء المؤلم في الحال والنافع في المآل؛ فالألم النـاتج عـن القيـام بالتكاليف تابع لها ولا يجوز دفعه؛ لأن ذلك يخل بجوهر التكليف، كالتعب الناتج عـن القيـام بالصلاة، والجوع والعطش الحاصلين من الصيام، وغيرها مما ينتج عن التكاليف الأخرى. أما إذا كان الألم خارجاً عن ماهية التكاليف وليس ناتجاً عن القيام بها، فللمكلف دفعه، وهو غيـر متعبد به، وإنما هو من العنت الذي يبتدعه بعضهم، ولا أجر له عليه، بل عليه دفعه إن نـتج عنه ضرر. من ذلك دفع ألم الجوع والعطش في غير وقت الصيام، ووقاية نفسه مـن الحـر والقر، وما عليه من التداوي عند وقوع المرض، والتوقي من كل مؤذٍ، آدميـاً كـان أو غيره، وله أن يتحرز من الخطر المتوقع ويعد العدة له[٢].

ونجد الأمثلة التطبيقية من واقع الشريعة، فالرسول ﷺ نهى عن الوصال في الصـوم[٣]، كمـا

---

(١) أخرجه أحمد في المسند، مسند الشاميين, وقال صحيح(١٦٤٩٦) ١٢٣/٤, وللحديث قصة: وهـو أن أبـا الأشعث الصنعاني لقي شداد بن أوس ومعه الصنابحي، فقال: أين تريدان يرحمكما ا ؟ فقالا: نريد أخاً لنا مريض نعوده،... فقالا له:٠٠٠كيف أصبحت؟ فقال: أصبحت بنعمة ا وفضـله، فقـال شـداد: أبشـر بكفارات الخطايا, فإني سمعت رسول ا ﷺ يقول: إن ا ﷻ يقول: (إني إذا ابتليت عبداً من عبـادي... الحديث). وأخرجه الطبراني في الأوسط, وصححه (٤٧٠٩) ٧٣/٥, وفي الكبير (٧١٣٦) ٢٧٩/٧, وفي مسند الشاميين (١٠٩٧) ١٥٤/٢.

(٢) الموافقات ١٢٨/٢ – ١٥٠.

(٣) قالت السيدة عائشة رضي ا عنها: (نهى رسول ا ﷺ عن الوصال رحمة لهم)، وفي روايـة عـن ابـن عمر: حذرهم الرسول ﷺ من الوصال، قال: (ثم إياكم والوصال في الصوم... فاكلفوا من الأعمـال مـا تطيقون) البخاري، كتاب الصوم، باب التنكيل لمن أكثر الوصال (١٨٦٤) ٦٩٤/٢ ومسلم كتاب الصـوم، باب النهي عن الوصال في الصوم (١١٠٢-١١٠٣) ٧٧٤/٢ وفي المسند عن أبي سعيد (١١٩٣٦) ٢ /٩٦ وعن عائشة (٢٦٠٩٦) ٢٨٢//٤، والبيهقي في باب النهي عن الوصال في الصوم عن ابن عمر (٨١٥٦) ٢٨١/٤ وعن أبي هريرة (٨١٥٨)٢٨٢/٤ والدارمي عن أبـي هريـرة (١٧٠٥)

نهى عن النذر، قال عبدا بن عمر ﷺ: (نهى النبي ﷺ عن النذر، وقال: إنه لا يرد شيئاً، وإنما يستخرج به من البخيل)[١].

قال الشاطبي:

«فإن كانت حاصلة – أي المشقة – بسببه كان ذلك منهياً، وغير صحيح في التعبد به؛ لأن الشارع لا يقصد الحرج فيما أذن فيه، ومثل هذا حديث الناذر للصيام قائماً في الشمس[٢]؛ ولذلك قال مالك في أمر النبي ﷺ له بإتمام الصوم وبالقعود والاستظلال: أمره أن يتم ما كان طاعة، ونهاه عما كان معصية؛ لأن ا لم يضع تعذيب النفوس سبباً للتقرب إليه، أو لنيل ما عنده»[٣].

قال الإمام الغزالي:

«كل بلاء يقدر الإنسان على دفعه فلا يؤمر بالصبر عليه، فلو ترك الإنسان الماء مع طول العطش حتى عظم تألمه فلا يؤمر بالصبر عليه، بل يؤمر بإزالة الألم، وإنما الصبر على ألم ليس إلى العبد إزالته»[٤].

ثالثاً: عدم طلب البلاء:

ليس للمكلف أن يطلب البلاء أو أن يتعجله لأمرين، الأول: لمنافاة ذلك لمقاصد الشريعة وهو رفع الحرج عن المكلفين كما أكده ا ﷻ: ﴿ **وما جعل عليكم في الدين من حرج** ﴾. الثاني: لأنه قد لا يطيقه، فيكون قد أوقع نفسه في حرج، قال الغزالي: فهل لنا أن نسأل ا البلاء؟ أقول: لا وجه لذلك؛ لما روي عن رسول ا ﷺ، أنه كان يستعيذ في دعائه من بلاء الدنيا

.١٥/٢

(١) البخاري في كتاب القدر، باب إلقاء النذر العبد إلى القدر (٦١١٨ _ ٦١٩٩) ومسلم في كتاب النذر، باب النهي عن النذر (٣٠٩٥ – ٣٠٩٧) والنسائي في الأيمان والنذور، باب النهي عن النذر (٣٧٤١- ٣٧٤٢) وابن ماجه في الكفارات، باب النهي عن النذر (٢١٣٣) وفي المسند، مسند ابن عمر (٥٣٣٥)، ومسند أبي هريرة (٦٩١٠).

(٢) تقدم ذكر الحديث وتخريجه.

(٣) الموافقات ١٣٣/٢.

(٤) إحياء علوم الدين ١٢٧/٤.

وبلاء الآخرة[1] وكان رسول ا ﷺ يتعوذ من خزي الدنيا، و عذاب يوم القيامة[2].

وكان أكثر دعاء النبي ﷺ: (ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عـذاب النـار). ونهى النبي ﷺ الرجل الذي استعجل العقوبة على نفسه[3].

وكان ﷺ يستعيذ من جهد البلاء، ودرك الشقاء، وسوء القضاء، وشماتة الأعداء[4].

ونجد أن رسول ا ﷺ، أقر من سأل ا تمام النعمة، وبينها له: بأنها دخول الجنة، والفوز من النار، وقال لمن دعا: يا ذا الجلال والإكرام: قد استجيب لك فسل، بينما قال لمـن سـأل ا

---

(1) عن بسر بن أرطأة, قال: سمعت رسول ا ﷺ يقول: (اللهم أحسن عافيتنا – في رواية: عافبتنا، بالقـاف – في الأمور كلها، وأجرنا من خزي الدنيا و عذاب الآخرة. وزاد الطبراني: من كان ذلك دعاءه مات قبـل أن يصيبه بلاء). أخرجه الحاكم (٦٥٠٨) ٦٨٣/٣، وابن حبان، باب ما يستحب للمرء أن يسأل ا العافية في الأمور كلها (٩٤٩) ٣ /٢٢٩، والهيثمي في مجمع الزوائد ١٧٨/١٠ وعزاه إلى أحمد والطبرانـي، وقال: ورجال أحمد وأحد أسانيد الطبراني ثقات، المسند ١٨١/٤.ويؤيده حديث جابر ﷺ، أن رسـول ا ﷺكان يقول: (اللهم متعني بسمعي وبصري، واجعلهما الوارث مني، وانصرني على من ظلمني وأرنـي منه ثأري). مجمع الزوائد ١٨١/٤ قال الهيثمي: وفيه ليث بن أبي سليم وهو مدلس، وبقية رجاله رجـال الصحيح.

(2) الحديث روته السيدة عائشة رضي ا عنها، قالت: كان رسول ا ﷺ إذا هب من الليل: (كبر عشراً، وحمد عشراً، وهلل عشراً، و قال: سبحان ا وبحمده عشراً، وقال سبحان الملك القـدوس عشـراً, واسـتغفر عشراً، وهلل عشراً، ثم قال: اللهم إني أعوذ بك من ضيق الدنيا وضيق يوم القيامة عشـراً، ثـم يفتـتح الصلاة). سنن أبي داود (١٠٧٠٧) , والنسائي في السنن الكبرى ٢١٨/٦, وفي عمل اليـوم والليلـة (٨٧٠) ,٤٩٨/١, قال العراقي: وفيه بقية، وهو مدلس، هامش إحياء علوم الدين ١٣٤/٤.

(3) قال أنس ﷺ: كان أكثر دعاء النبي ﷺ: ربنا آتنا في الدنيا حسنة... أخرجه البخاري, في كتاب الدعوات، بـاب قول النبي ربنا آتنا... (٤٨٥٣) وفي كتاب التفسير (٤١٦٠)، وأبو داود: كتاب الصلاة، باب الاستغفار (١٢٢٨-١٦١٦) وفي المسند (١١٥٤٣- ١١٦٠٧...) وعن أنس ﷺ قال: (أن رسول ا ﷺ عاد رجلاً من المسـلمين قد خَفَت، فصار مثل الفرخ؛ فقال له رسول ا ﷺ: هل كنت تدعو بشيء أو تسأله إياه؟ قال نعم, كنت أقـول: اللهم ما كنت معاقبي به في الآخرة فعجله لي في الدنيا، فقـال رسـول ا : سـبحان ا ! لا تطيقـه، أو لا تستطيعه، أفلا قلت؟ اللهم آتنا في الدنيا حسنة... قال: فدعا ا له فشفاه) صحيح مسلم:كتاب الذكر والـدعاء، باب: كراهية الدعاء وتعجيل العقوبة. (٤٨٥٣) قال النووي في شرحه لصحيح مسلم: قد خفت مثل الفرخ: أي ضعف وفي هذا الحديث النهي عن الدعاء بتعجيل العقوبة، وسنن الترمذي كتاب الدعوات باب: ما جـاء في عقد التسبيح باليد (٣٤٠٩).

(4) أخرجه البخاري عن أبي هريرة ﷺ: كتاب القدر، باب من تعوذ با من درك الشـقاء (٦٢٤٢) ٢٤٤٠/٦, ومسلم في كتاب الذكر, باب التعوذ من سوء القضاء, والنسائي في كتاب الاستعاذة، باب الاسـتعاذة مـن سوء القضاء (٢٧٠٧) ٢٠٨٠/٤، وأخرج له شاهداً عن عمرو بـن العـاص (٥٣٨٠- ٥٣٩٢ – ٥٣٩٣), والنسائي باب الاستعاذة من سوء القضاء (٥٤٩١) ٢٦٩/٨ , وفي المسند (٧٠٥١)، قال الإمـام النووي: سوء القضاء: في الدين والدنيا والبدن والمال والأهل، درك الشقاء: في الآخرة والدنيا، أي: أعوذ بك أن يدركني شقاء، شماتة الأعداء: فرح العدو ببلية تنزل بعدوه. شرح صحيح مسلم ٣٠/١٧

تعالى الصبر: (سألت ا البلاء، فسله العافية)[١].

وكان رسول ا ﷺ يأمر أصحابه أن يسألوا ا العافية؛ لأنه لم يؤت أحد بعد اليقـين أفضـل من العافية[٢]، قال مطرف بن عبد ا : (لأن أعافى فأشكر، أحب إلي من أبتلى فأصبر)[٣].

وهذا أظهر من أن يحتاج فيه إلى دليل؛ فالعافية نعمة مطلقـاً؛ بينمـا الـبلاء صـار نعمـة باعتبارين: أحدهما: بالإضافة إلى ما هو أكثر منه، إما في الدنيا، أو فـي الـدين. والآخـر: بالإضافة إلى ما يرجى من الثواب. فينبغي أن نسأل ا تعالى تمام النعمة ودفع الـبلاء فـي الدنيا، ونسأله الثواب في الآخرة على الشكر على نعمته؛ فإنه قادر على أن يعطي على الشكر ما لا يعطيه على الصبر[٤].

أسباب الابتلاء وفوائده:

أسباب الابتلاء عديدة، ودواعيه مختلفة، لحِكم جليلة أرادها المولى ﷻ، كما ينتج عنـه فوائـد كثيرة تعود بالنفع على المكلفين.

أولاً: أسباب البلاء.

١- الابتلاء من سنن ا تعالى في خلقه؛ أوجد الكون واستخلف فيه آدم وذريته؛ ليختبر أيهمله أطوع

---

[١] عن معاذ بن جبل ﷺ, قال: سمع النبي ﷺ رجلاً وهو يقول: اللهم إني أسألك تمام النعمة، فقال: أي شيء تمام النعمة، قال دعوة دعوت بها أرجو بها الخير، قال: فإن من تمام النعمة دخول الجنة، والفوز من النـار، وسمع رجلاً يقول: ياذا الجلال والإكرام، فقال: قد استجيب لك فسل. وسمع النبي ﷺ رجلاً يقـول: اللهـم إني أسألك الصبر، فقال: سألت ا البلاء، فسله العافية. سنن الترمذي كتاب الدعوات، (٣٥٢٧) ٥٤١/٥، وقال: حديث حسن، وفي المسند، مسند الأنصار (٢١٠٠٩ –٢١٠٤٤)

[٢] روى الحديث العباس بن عبد المطلب قال: قلت يا رسول ا : علمني شيئاً أسأله ا ، فقال: يا عباس يا عم رسول ا : سلوا ا العافية في الدنيا والآخرة. أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات (٣٥١٤) ٥٣٤/٥ وقال: حديث صحيح, وأخرج لـه شاهداً عن أنس باب: العفو والعافية (٣٥٩٤) ٥٧٦/٥، وله شاهد عن أبي بكر (٥) ٣/١، وفي صـحيح البخـاري: لا تتمنوا لقاء العدو وسلوا ا العافية، كتاب التمني، باب: كراهية لقاء العدو (٦٦٩٦ –٢٧٤٤- ٢٨٠١) وسـنن الـدارمي (٢٣٣٣).

[٣] مطرف بن عبد ا بن الشخير: الإمام القدوة الحجة، التابعي الكبير أبو عبد ا الحرشي العامري البصري حدث عن أبيه, وعن: عثمان وعلي وعائشة, وغيرهم. سير أعلام النبلاء ١٨٧/٤.

[٤] إحياء علوم الدين ١٣٤/٤ بتصرف.

وإلى رضاه أسرع[1]، مصداقه قوله ﷻ: ﴿ **الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا** ﴾ [الملك: ٢]. ومن سننه الماضية في عباده اختبارهم بالشدائد وامتحانهم بالمصائب، كما أخبر ﷻ: ﴿ **الم ۞ أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا ءامنا وهم لا يفتنون۞ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين** ﴾ [العنكبوت: ١-٣][2]. وأشار هرقل إلى تلك السنة عندما حاور أبا سفيان في شأن النبي ﷺ؛ حيث قال: (...هل قاتلتموه؟ قال: نعم، قال: فكيف كانت الحرب بينكم؟ قال سجالاً، يدال علينا ويدال عليه، قال: كذلك الرسل تبتلى ثم تكون لها العاقبة)[3]. لهذا نجد أن من دخل في الإسلام من الصحابة، قد أصابته الرزايا وحلت عليه البلايا فامتحن في دينه، إما لأن بعضهم كان من العبيد، أو لأنه كان ممن لا ناصر له، وذلك كخباب وبلال وآل ياسر؛ فبعد أن صبروا وثبتوا، نالوا درجة السبق إلى الإسلام، وأصبحوا سادة، وصاروا قادة. ومن كان منهم مهاب الجانب قوي الشكيمة، أحب أن يصيبه ما أصاب من لا ناصر له؛ فعرض نفسه للأذى ليضحي من أجل الدين مثلما ضحوا، وذلك كما فعله عمر وأبو ذر ﷺ حين أسلما[4].

٢- تعد التكاليف الشرعية من جملة ما اختبر الله تعالى به المكلفين، اتباعاً أو إعراضا، وما الكلمات التي ابتلى الله تعالى بها إبراهيم عليه السلام- وهو قوله:﴿ **وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن..** ﴾[البقرة: ١٢٤]- إلا فرائض فرضها عليه، وأوامر أمره بها، ونواهٍ نهاه عنها؛ امتحاناً لإيمانه واختباراً لطاعته[5].

٣- يبتلي الله تعالى عباده، ليمتحن إيمانهم ويختبر صدقهم؛ ليظهر مدى التزامهم بالشرع، ومقدار ثباتهم على الحق، قال تعالى: ﴿ **أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا**

---

[1] جامع البيان ١/٢٨.
[2] انظر جامع البيان ٣٤١/١ –٤١/٢، وتفسير ابن كثير ٤٠٤/٣.
[3] أخرجه البخاري في كتاب الوحي، باب بدء الوحي (٦) ومسلم في الجهاد والسير (٢٣٢٢)، وذكره ابن كثير في تفسيره ١٤٢/٤
[4] فقه السيرة النبوية, منير محمد الغضبان ص١٢٧.
[5] جامع البيان ٢٥٤/١. وكما ابتلى الله ﷻ إبراهيم عليه السلام بأعظم بلاء وهو ذبح الابن؛ وما ذلك إلا ليختبر مقدار تنفيذه للأمر ولو كان شديداً على النفس, وغير داخل تحت حكم تكليفي, فكان جزاؤه أن يصفه الله تعالى بأنه من المحسنين, وتلك عاقبة من استجاب لأمر الخالق ﷻ إذ قال: (فلما أسلما وتله للجبين وناديناه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين إن هذا لهو البلاء المبين) [الصافات ١٠٣-١٠٦].

مِن قَبلِكُم مستْهم البَأْساء والضراء وزلْزِلُوا حتى يقُولَ الرسولُ والذِين ءامنُوا معه متَى نَصـر اللهِ أَلَا إِن نَصر اللهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤]. ويبتليهم؛ ليميز الصادق من المدعي[١] والمـؤمن من المنافق[٢]. والصحابة وقع لهم بلاء عظيم، في مكة للتمييز بين الإيمان والكفر[٣] وفي المدينة للتمحيص بين الإيمان والنفاق[٤].

٤- ابتلاء المؤمنين بالكافرين، وابتلاء الكافرين بالمؤمنين، فالمؤمنون يبتلون بالكافرين؛ ليعلم صدقهم وثباتهم، فا تعالى يبتلي المؤمنين بقتال الكافرين؛ فينال بعضهم الشهادة، ويصبر من بقي منهم حياً على مقارعة الأعداء، وهو طاعة ﷻ لإعلاء كلمته، قال ﷻ: ﴿ **ولنَبلُـونكُم حتى نَعلَم الْمجاهِدِين مِنْكُم والصابِرِين** ﴾[محمد: ٣١][٥]. ويبتلي الكافرين بالمؤمنين؛ ليقتل من أصر على الكفر منهم؛ وليثوب إلى الإيمان من اتعظ بقتل غيره، وذلك مما يشاهده من نصـر ا ﷻ لعباده المؤمنين، قال تعالى: ﴿ **ولَو يشَاء الله لَانْتَصر مِنْهم ولَكِن لِيبلُو بعضكُم بِبعضٍ**﴾

---

(١) قال ابن عطاء ا السكندري: (يتبين صدق العبد من كذبه في أوقات البلاء والرخاء، فمن شكر فـي أيـام الرخاء وجزع في أيام البلاء، فهو من الكاذبين، ولو اجتمع في رجل علم الثقلين ثم هاجت عليـه ريـاح البلاء، فأظهر الشكوى لما نزل به، لا ينفعه علمه ولا عمله، كما جاء في الحديث القدسي: (من لم يرض بقضائي، ولم يشكر لعطائي، فليطلب سواي), مكاشفة القلوب للغزالي ص١٣، الحديث رواه الطبراني عن أبي هند الداري، وهو أخو تميم الداري، بلفظ: (من لم يرض بقضائي ويصبر على بلائي، فليـتمس ربـاً سواي)، قال الهيثمي: وفيه سعيد بن زياد بن هند، متروك، ورواه في مسند الفردوس (٤٤٤٩) ١٦٩/٣، وقال المناوي: قال العراقي: إسناده ضعيف جداً، فيض القدير ٤٦٩/٤ – ٤٧٠، وله شاهد عن أنس رفعه: (من لم يرض بقضاء ا ، ويؤمن بقدره, فليلتمس ا) رواه الطبراني في الصغير والأوسط، وفيه سهل بن حزم، وثقه ابن معين، وضعفه جماعة، وبقية رجاله ثقات، مجمع الزوائد ٢٠٧/٧.

(٢) جامع البيان ١ /٣٤١، وتفسير ابن كثير ٤٠٤/٣ و ٢٥١/١.

(٣) قال خباب بن الأرت ﷺ: شكونا إلى رسول ا ﷺ وهو متوسد في ظل الكعبة، فقلنا له: ألا تستنصر لنا؟ ألا تدعو ا لنا؟ قال: (كان الرجل ممن قبلكم يحفر له في الأرض، فيجعل فيه، فيجاء بالمنشار، فيوضع على رأسه، فيشق باثنين، وما يصده ذلك عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصـب وما يصده ذلك عن دينه، وا ليتمن ا هذا الأمر حتى يسير الراكب من صـنعاء إلـى حضـرموت لا يخاف إلا ا أو الذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون) أخرجه البخاري، في كتاب المناقـب, بـاب علامات النبوة (٣٣٤٣) وكتاب الإكراه (٤٦٣٠)، وأبـو داود فـي الجهـاد (٢٢٧٨)، وفـي المسـند (٢٠١٥٨).

(٤) حدث مثل ذلك في غزوة الأحزاب: (إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغـت الأبصـار وبلغـت القلوب الحناجر وتظنون با الظنونا هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً وإذ يقـول المنـافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا ا ورسوله إلا غروراً) (الأحزاب (١٠- ١٢), وانظر تفسير ابن كثير ٢٥١/١.

(٥) جامع البيان ٦١/٢١.

[محمد: ٤][(١)].

٥- قد يكون الابتلاء عقوبة من ا ﷻ على معصية مقترفة، من ذلك ما حدث لأهل القريـة التي كانت حاضرة البحر؛ حيث كانوا يعدون في السبت إذ تأتيهم الحيتان في ذلك اليوم شرعاً؛ ابتلاء لهم، وقد كانوا منعوا الصيد ذلك اليوم؛ فابتلاهم ا تعالى لمعصيتهم لأمره، قـال ﷻ: ﴿**كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون...**﴾ - فكانت النتيجة نجاة من قام بما عليه من واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهلاك الباقين من العصاة ومن وافقهم ولم يـنههم- : ﴿ **فلمـا نسوا ما ذكروا بِهِ أَنْجينَا الذِين ينْهون عن السوءِ وأَخَذْنَا الذِين ظلموا بِعذَابٍ بئِيس بِما كانُوا يفْسقُون ۞ فلما عتَوا عن ما نُهوا عنْه قُلْنَا لهم كُونُوا قِردةً خَاسِئِين** ﴾ [الأعـراف: ١٦٣-١٦٦][(٢)]. وأهل مكة ابتُلوا بالجدب والقحط بعد إعراضهم عن اتباع الحق؛ عقاباً لهم؛ وذلـك كما ابتلى من قبلهم، وهم أصحاب الجنة الذين تآمروا على حرمان المساكين حقهم، قال ﷻ: ﴿ **إِنا بلَوناهم كما بلَونَا أَصحاب الْجنةِ إِذْ أَقْسموا ليصرِمنها مصبِحِين** ﴾ [القلـم: ١٧][(٣)]. وقـد ابتلى ا تعالى الصحابة الكرام في أُحد عقوبة لهم على مخالفتهم أمر الرسول ﷺ في المعركة؛ فبعد أن أظفرهم على عدوهم، سلطه عليهم بسبب معصيتهم، قال ﷻ: ﴿ **ولقَد صـدقَكُم اللـه وعده إِذْ تَحسونَهم بِإِذْنِهِ حتى إِذَا فَشِلْتُم وتَنَازعتُم فِي الْأَمر وعصيتُم مِن بعدِ ما أَراكُـم مـا تُحِبون مِنكُم من يرِيد الدنْيا ومِنكُم من يرِيد الْآخِرةَ ثُم صرفَكُم عنْهم لِيبتَلِيكُم صرفكم عـنهم ليبتليكم...**﴾ [آل عمران: ١٥٢][(٤)].

٦- من أسباب الابتلاء تقرير العبودية تعالى؛ فللخالق أن يفعل بخلقه ما يشاء، فقـد يقـع الابتلاء ابتداء دون أن يكون عقوبة، كما وقع للأنبياء والأولياء، وإذا قارنه الصبر أفاد درجة عالية في الدين[(٥)]. وإن من أتته نعم الدنيا، أو حلت عليه نقمها، لا يعني أنـه مسـتحق لمـا أصابه، وا ﷻ قد يغدق نعمه على العصاة والمذنبين ويوسع على الكفرة والملحدين؛ إما على سبيل الاستدراج، وإما لأنه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد؛ وإما لأنه أعلم بمصلحة العباد، وقد

(١) تفسير القرطبي ٢٣٠/١٦.

(٢) قال الرازي: (أي مثل ذلك البلاء الشديد نبلوهم بسبب فسقهم، وذلك يدل على أن من أطاع ا تعالى, خفف ا عنه أهوال الدنيا والآخرة، ومن عصاه، ابتلاه بأنواع البلاء والمحن).مفاتيح الغيب ٣٧/١٥.

(٣) قال القرطبي: (أعطيناهم أموالاً ليشكروا لا ليبطروا؛ فلما بطروا وعادوا محمـداً ﷺ، ابتلينـاهم بـالجوع والقحط، كما بلونا أصحاب الجنة المعروف خبرها عندهم) , الجامع لأحكام القرآن ٢٣٩/١٨.

(٤) قال الإمام الطبري: (يعني بذلك جل ثناؤه: ثم صرفكم أيها المؤمنون عن المشركين بعد ما أراكم ما تحبون فيهم، وفي أنفسكم من هزيمتكم إياهم وظهوركم عليهم، فرد وجوهكم عـنهم لمعصـيتكم أمـر الرسـول ومخالفتكم طاعته وإيثاركم الدنيا على الآخرة؛ عقوبة لكم على ما فعلتم) جامع البيان ١٣١/٤.

(٥) مفاتيح الغيب ١٥٣/٤.

يضيق على الصديقين؛ لأضداد الحكم السابقة[١]. والله ﷻ بشر من رضي بقضـائه واستسـلم لأحكامه، بالمغفرة والرحمة؛ حيث قال: ﴿ **وبشر الصابرين۝ الذين إذا أصابتهم مصيبةٌ قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون ۝أولئك عليهم صلواتٌ من ربهم ورحمةٌ وأولئك هـم المهتـدون** ﴾[البقرة: ١٥٥ – ١٥٧][٢]. وليس للعبد أمام قدر الله ﷻ النافذ إلا الرضا؛ لينـال الرضـوان، ومن سخط فليس عليه إلا السخط[٣].

ثانياً: فوائد البلاء.

للبلاء الواقع بالمكلف فوائد، وذلك من أوجه مختلفة.

١- من فوائده: انكشاف حال من يتبع الرسول ﷺ ممن ينقلب على عقبيه[٤]؛ وحال المنافق الكاذب في دعواه، من المخلص الصادق في إيمانه[٥]. وما خالف الله تعالى بين الشـرائع؛ إلا ليختبر المطيع من المقيم على ما وجد عليه الآباء، قالﷻ: ﴿ **ولو شاء اللـه لجعلكُـم أمةً واحدةً ولكن ليبلوكُم في ما ءاتاكُم** ﴾ [المائدة: ٤٨][٦]. وليعرف أيهم أحسن عمـلاً، وهو العامل بأمر الله ﷻ: الأسرع في طاعته، والأورع عن محارمـه؛ مـن المخـالف، والمجاهد من المتخاذل، والصابر من الفار[٧].

٢- ومن فوائده، أنه بمنزلة التنبيه القوي والإنذار الشديد من الله سبحانه وتعالى لمـن أعـرض عن اتباع الحق من الكفرة، أو لمن عصى من المسلمين؛ فيبتليهم الله ﷻ بصـنوف شـتى مـن العذاب، علهم يعودون عن غيهم، أو ينتبهون من غفلتهم، قبل أن يؤمنوا حين لا ينفع الإيمان، أو

---

(١) المرجع السابق ١٦٩/٢٨.
(٢) قال الإمام الطبري: (يعني تعالى ذكره: وبشر يا محمد الصابرين الذين يعلمون أن جميع ما بهم من نعمـة فمني، فيقرون بعبوديتي، ويوحدوني بالربوبية، ويصدقون بالمعاد والرجوع إلي؛ فيستسـلمون لقضـائي، ويرجون ثوابي، ويخافون عقابي، ويقولون عند امتحاني إياهم ببعض محني، وابتلائي إياهم بما وعـدتهم مما ابتليهم به من الخوف والجوع ونقص الأموال والأنفس والثمرات، وغير ذلك من المصائب التي أنـا ممتحنهم بها: إنَّا مماليك ربنا، ونحن عبيده وإنَّا إليه بعد مماتنا سائرون؛ تسليماً لقضائي، ورضاً بأحكامي) جامع البيان ٤٢/٢.
(٣) هذا معنى حديث سبق تخريجه.
(٤) جامع البيان ٤١/٢.
(٥) المرجع السابق ١٣١/٤.
(٦) المرجع السابق ٢٧٢/٦.
(٧) المرجع السابق ٥/١٢ _١/٢٨- ٦١/٢٦ –٤ /٤٢- ١٦٨/١٤- ١٩٥/٥- وتفسير القرطبي ١٨/ ٢٠٧.

يتوبوا حين لاتنفع التوبة؛ كما حدث لفرعون: ﴿... **حتى إذا قالَ أدركه الغَرقُ ءامنْتُ أنه لا إلـه إلا الذي ءامنَتْ بِهِ بنُو إسرائيلَ وأَنَا مِن المسلِمينَ ۞ آلآن وقَد عصـيتَ قبـلُ وكُنْـتَ مِـن المفْسِـدِين** ﴾ [يونس: ٩٠ – ٩١]. وا ﷻ يعاقب بعذاب أدنى في الدنيا، علهم يرجعـون عـن ضلالهم، وإلا انتظرهم عذاب أكبر في الآخرة: ﴿ **ولنُذِيقنهم مِن العـذَابِ الـأدنَى دون العـذَابِ الأكْبر لعلهم يرجِعون** ﴾ [السجدة: ٢١][1]؛ وا ﷻ ابتلى بني إسرائيل لمعصيتهم، علهم يعـودون عن غيهم؛ حيث قال: ﴿ **وقطعنَاهم فِي الأَرضِ أُممًا مِنْهم الصالِحون ومِنْهم دون ذَلِك وبلَونَـاهم بِالحسنَاتِ والسيئَاتِ لعلهم يرجِعونَ** ﴾ [الأعراف: ١٦٨][2].

٣- ومن فوائده: أنه سبب: لتكفير الخطايا، ورفع الدرجة، وعلـو المنزلـة، ودخـول الجنـة؛ وفي هذا وردت الأحاديث عن رسول ا ﷺ، منها قوله: (ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة فـي نفسه وولده وماله، حتى يلقى ا وما عليه خطيئة)[3]. وإذ كثرت ذنوب العبد، ولم يكن لـه مـا يكفرها من العمل ابتلاه ا ﷻ؛ ليكفرها له[4]. حتى أي أذى يصـيب المـؤمن، أو مـرض، أو مصيبة، إلا كان كفارة لسيئاته، قال رسول ا ﷺ: (ما من شيء يصيب المؤمن فـي جسـده

(١) قال الإمام الطبري: (إن ا وعد هؤلاء الفسقة المكذبين بوعيده في الدنيا، العذاب الأدنـى، أن يـذيقهموه دون العذاب الأكبر، والعذاب: هو ما كان في الدنيا من بلاء أصابهم، إما شدة من مجاعة, أو قتـل، أو مصـائب يصابون بها... قبل العذاب الأكبر: وذلك عذاب يوم القيامة...كي يرجعوا ويتوبوا بتعذيبهم العـذاب الأدنـى) جامع البيان ١١٠/٢١.

(٢) قال القرطبي: (أي بالخصب والعافية... وبالجدب والشدائد.. ليرجعوا عن كفرهم) الجامع لأحكام القـرآن ٣١٠/٧.

(٣) أخرجه الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه، كتاب الزهد، باب: ماجاء في الصبر علـى الـبلاء، وقـال: حسـن صحيح,وتحفة الأحوذي (٢٥١٠) ٨٠/٧، قال المباركفوري: وأخرجه مالك في الموطأ عنه مرفوعاً بلفظ: مايزال المؤمن يصاب في ولده وخاصته حتى يلقى ا وليست له خطيئـة. وأخرجـه أحمـد (٧٥٢١ _ ٩٤٣٥) وابن أبي شيبة بلفظ: لا يزال البلاء بالمؤمن حتى يلقى ا وليس عليه خطيئة. (١٠٨١١) ٤٤١/٢, والحاكم:(١٢٨١) ٤٩٧/١, وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وله شاهد صحيح.

(٤) هذا مضمون حديث روته السيدة عائشة رضي ا عنها عن رسول ا ﷺ قال: (إذا كثرت ذنوب العبد ولم يكن له ما يكفرها من العمل، ابتلاه ا ﷻ بالحزن ليكفرها عنه). المسـند (٢٤٠٧٧)، وورد بلفـظ: (إذا الغرماء ذنوب العبد ولم يكن له ما يكفرها من العمل ابـتلاه ا ﷻ بـالحزن ليكفرهـا عنـه), المسـند (١٥٧١٦- ٢٥٢٧٥)، قال الهيثمي: رواه أحمد، وفيه ليث بن أبي سليم، وهو مدلس، وبقية رجاله ثقات. مجمع الزوائد, باب الحزن والكفارة ٢٩١/٢، وانظر الترغيب والترهيب (٥١٨٣) ١٤٦/٤، قال المناوي: إذا الغرماء ذنوبك، أي وأردت اتبعاها بحسنات لها أثر بين. فيض القدير ٤٣٤/١.

يؤذيه إلا كفر ا تعالى عنه به من سيئاته)[١]. وقال: (ما من مصيبة تصيب المسلم إلا كفـر ا بها عنه حتى الشوكة يشاكها)[٢]. ويبتلى العبد لترتفع درجته وتعلو منزلته عند ربه، قـال ﷺ: (لا يصيب المؤمن شوكة فما فوقها إلا رفعه ا ﷻ بها درجة وحط عنه بها خطيئة)[٣].

ومن سبقت له عند ا تعالى منزلة ولم يبلغها بعمله، فما يزال ا يبتليه بما يكره حتى يبلغها[٤]. والجنة جزاء من صبر على البلاء واحتسب الأجر عند ا تعالى، كما قال النبي ﷺ، فيما يرويه عن ا ﷻ: (من أذهبت حبيبتيه، فصبر واحتسب، لم أرض له ثواباً دون الجنة)[٥]. والرسول ﷺ بين أن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وأن ا إذا أحب قوماً ابتلاهم، فمن رضي فلـه الرضـا، ومن سخط فله السخط، وأن ا إذا أراد بعبده خيراً عجل له العقوبة في الدنيا، وإذا أراد به شراً أمسك عنه بذنبه حتى يوافى به يوم القيامة[٦]. وقال ﷺ: (فما يبرح البلاء بالعبـد حتـى يتركـه

---

(١) أخرجه الإمام أحمد عن معاوية رضي الله عنه، المسند (١٣٢٥)، وفي مسند الفردوس ١٣٣/١، وتفسـير ابـن كثيـر ١١٧/٤.

(٢) أخرجه البخاري عن عائشة رضي ا عنها في كتاب المرض، باب ما جاء في كفارة المـرض (٥١٣٧) ٢١٣/٥ ومسلم في البر والصلة والآداب، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه مـن مـرض (٤٦٦٧) (شـرح النووي على مسلم ١٢٩/١٧، وفي المسند (٢٣٤٣٤)، وفي سنن الترمذي،كتاب الجنائز (٨٨٨)، وجاء في الموطأ بلفظ: (لايصيب المؤمن من مصيبة حتى الشوكة، إلا كفر ا بها من خطايـاه) الموطـأ (١٧٠٦) ص٦٧٢، وله شاهد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول ا ﷺ: (ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب، ولا هم ولا حزن، وأذى، ولا غم،حتى الشوكة يشاكها، إلا كفر ا بها من خطاياه) متفق عليـه، (الكتاب والباب نفسه)، البخاري (٥٣١٨) مسلم بشرح النووي ١٣٠/١٧.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٢٣٠٢٧).

(٤) روى محمد بن خالد السلمي عن أبيه عن جده, وكان لجده صحبة، أنه خرج زائراً لرجل من إخوانه، فبلغته شكاته, قال: فدخل عليه فقال: أتيتك زائراً عائداً ومبشراً، قال كيف جمعت هذا كله؟ قال خرجت وأنا أريد زيارتك، فبلغتني شكايتك، فكانت عيادة، وأبشرك بشيء سمعته من رسول ا ﷺ، قال إذا سبقت للعبد من ا منزلة لم يبلغها بعمله، ابتلاه ا في جسده، أو في ماله، أو في ولده، ثم صبره حتى يبلغه المنزلة التي سبقت له منه). أخرجه أبو داود في الجنائز، باب الأمراض والكفارة (٢٦٨٦) وفي المسـند: مسـند الأنصار (٢١٣٠٦)، وفي رواية عن أبي هريرة قال رسول ا ﷺ: (إن الرجل ليكون له عند ا منزلـة فما يبلغها بعمله فما يزال ا يبتليه بما يكره حتى يبلغها). قال الهيثمي: رواه أبو يعلى ورجالـه ثقـات، مجمع الزوائد ٢٩٢/٢. وانظر في هذا المعنى: الفتن والبلايا للعز بن عبد السلام، الفائدة الحادية عشـرة: تمحيصها للذنوب والخطايا ص١٤.

(٥) أخرجه الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه, كتاب الزهد، باب الصبر على البلاء (٢٣٢٥) وقال حسـن صـحيح، وتحفة الأحوذي (٢٥١٢).

(٦) هذا معنى حديثين أخرجهما الترمذي عن أنس رضي الله عنه، في كتاب الزهد، باب الصـبر علـى الـبلاء.(٢٣١٩-٢٣٢٠), وفي تحفة الأحوذي: (٢٥٠٧) ٧٧/٧.

يمشي على الأرض، وما عليه خطيئة)[١].

٤- ومن فوائده: أن إخلاص الإنسان في أعماله حالة البلاء ورجوعه إلى ا ﷻ أكثـر مـن إخلاصه حال الرخاء[٢].

٥ - ومن فوائده: أن الكفار إذا شاهدوا الرسول ﷺ وأصحابه مقيمين على ديـنهم، مسـتقرين عليه، مع ما كانوا عليه من نهاية الضر والمحنة؛ علموا أن هؤلاء ما اختاروا هذا الـدين إلا لقطعهم بصحته؛ فذلك يدعوهم إلى مزيد التأمل في دلائله[٣].

٦- ومن فوائده أن من المنافقين من أظهر متابعة الرسول ﷺ طمعاً منه فـي المـال وسـعة الرزق؛ فإذا اختُبر بنزول المحن، فعند ذلك يتميز المنافق من الموافق؛ لأن المنافق إذا سـمع ذلك نفر منه وترك دينه [٤].

٧- كما أن للإخبار بوقوع البلايا قبل نزولها فوائد [٥]، وذلك من وجوه:

الأول: ليوطن المسلمون أنفسهم على الصبر عليها إذا وردت، فيكون ذلك أبعـد لهـم عـن الجزع، وأسهل عليهم بعد الورود.

الثاني: أنهم إذا علموا أنه ستصل إليهم تلك المحن، اشتد خوفهم؛ فيصير ذلك الخوف تعجـيلاً للابتلاء، فيستحقون به مزيد ثوابٍ.

الثالث: أن الإخبار بوقوع المحن قبل حصولها، من بـاب الإخبـار بالغيـب؛ فيكـون ذلـك إعجازاً[٦].

وقد ألف العز بن عبد السلام رسالة في الابتلاء عنوانها: الفتن والبلايا والمحن والرزايـا، أو:

---

[١] هذا جزء من حديث سبق تخريجه، وانظر سنن ابن ماجه, كتاب الفتن، باب الصبر على الـبلاء (٤٠٢٣) ١٣٣٤/٢.
[٢] مفاتيح الغيب ١٥٠/٤.
[٣] المرجع السابق، المكان نفسه.
[٤] المرجع السابق، المكان نفسه.
[٥] وذلك حين أخبر ا ﷻ أنه سيوقع البلاء بعباده المؤمنين؛ حيث قال: ﴿**ولنبلونكم بشيء من الخـوف...** ﴾ [البقرة: 155].
[٦] مفاتيح الغيب ١٥٠/٤.

فوائد البلوى والمحن، تكلم فيها عن فوائد المحن والبلايا؛ حيث ذكر سبع عشرة فائدة، وذلـك كما يلي:

١- معرفة عز الربوبية وقهرها. ٢- معرفة ذل العبودية وكسرها. ٣- الإخلاص تعـالى. ٤- الإنابة إلى ا ﷻ والإقبال عليه. ٥- التضرع والدعاء. ٦- الحلم عمن صـدرت عنـه المصيبة. ٧- العفو عن جانيها. ٨- الصبر عليها. ٩- الفرح بهـا لأجـل فوائـدها. ١٠- الشكر عليها لما تضمنته من فوائد. ١١- تمحيصها للذنوب والخطايا. ١٢- رحمة أهل البلاء ومساعدتهم على بلواهم. ١٣- معرفة قدر نعمة العافية والشكر عليها؛ لأن قيمـة النعمـة لا تعرف إلا بعد فقدها. ١٤- الثواب الذي أعده ا ﷻللمبتلين. ١٥- ما تضمنته من فوائد خفية. ١٦- ما تضمنته المصائب والشدائد من المنع من الشر والبطر. ١٧- الرضـا الموجـب لرضوان ا ﷻ[1].

أثر الابتلاء في الشخصية:

يعد الابتلاء من أهم الأسس التربوية المفيدة في بناء الشخصية؛ وذلك لما فيه من إعداد لتحمل الأعباء وتهيئة للقيام بالواجبات، فهو بمنزلة التدريب الذي يخضع له الجنـود والرياضـيون؛ ليعدوا للقيام بمهام جليلة تطلب منهم. وما التكاليف التي فرضها ا ﷻ على عباده وما تنطوي عليه من مشقة إلا من أجل هذا. يدل عليه ما جاء في حكمة فرض الصـيام، قـال ﷻ: ﴿ **يأأيها الذين ءامنُوا كُتِب عليكُم الصيام كما كُتِب على الذين مِن قبلِكُم لعلكُم تتقُون** ﴾ [البقرة: ١٨٣]. فهذه الدنيا التي هي دار ابتلاء ومقام تكليف، يتقلب فيها العبد بين نعم ونقم، ويتعرض لشدائد وتصيبه محن؛ وهذا يتطلب صبراً ويحتاج عزيمة وثباتاً؛ فيأتي الابتلاء كالدواء المـر الذي يؤلم في الحال وينفع في المآل[2]؛ حيث يتأهل الشخص ليكون أقوى عزيمة على القيـام بالتكاليف، وأشد تحملاً لشدائد الحياة.

وذلك أن الابتلاء بالمال والنفس والتعرض لأذى الأعداء، إنما هو ضريبة اتبـاع الحـق، ولا

---

[1] انظر الفتن والبلايا للعز بن عبد السلام ص٩- ٢٢.
[2] إحياء علوم الدين ١٣٠/٤.

نجاة إلا أن يأتوا بما عزمه ا تعالى عليهم، وهو الصبر والتقوى، قال ﷻ: ﴿ **لتُبلَـون فِـي أَموالِكُم وأَنْفُسِكُم ولَتَسمعن مِن الَذِين أُوتُوا الْكِتَاب مِن قَبلِكُم ومِن الَذِين أَشْركُوا أَذًى كَثِيـرًا وإِن تَصبِروا وتَتقُوا فَإِن ذَلِك مِن عزمِ الْأُمورِ**﴾ [آل عمران: ١٨٦][(١)].

والصبر نصف الإيمان[(٢)]، والعبد مكلف بالصبر على المحن، والشكر على النعم، فبذلك ينـال درجة الصابرين مع درجة الشاكرين.

ونجد أن ا تعالى بعد أن أمر بالشكر على تمام النعمة- وهي شريعته التـي أنزلهـا علـى رسوله ﷺ؛ حيث قال: ﴿ **واشْكُروا لِي ولَا تَكْفُرونِ** ﴾ - أخبرهم بأنـه سـيبتليهم، ثـم بشـر الصابرين منهم، فقال: ﴿ **وبشِّرِ الصابِرِين**﴾ [البقرة: ١٥٢–١٥٥]. وهذا يدل أن الصبر علـى البلاء يعين على القيام بالتكاليف؛ لأن لها أعباء وفيها مشقات، فالبلاء يعـود علـى الصـبر، ويعين على التحمل[(٣)]؛ وهو بمنزلة اللقاح الذي يعطى للصحيح؛ حيث يدرب الجهاز المنـاعي لديه على مقاومة الأمراض، فإذا دهم مرض الجسم لاقى دفعاً شديداً.

والمحن تحمل على الإخلاص تعالى، والإنابة إليه والإقبال عليه، واللجـوء إلـى جنابـه، إذ لا مرجع في دفع الشدائد إلا إليه [(٤)]؛ حيث تزول الحجب التي غطـت الفطـرة، وتطيـر الأوهام التي خدعت الأحلام؛ لتبرز الحقيقة جلية وهي أن ملجأ إلا إلى ا ﷻ[(٥)].

---

(١) جامع البيان ٢٠٠/٤.

(٢) هذا معنى حديث ضعيف سبق تخريجه.

(٣) انظر: مفاتيح الغيب ١٤٩/٤, البحر المحيط لأبي حيان ٦٢٣/١.

(٤) مفاتيح الغيب ١٥٠/٤، الفتن والبلايا للعز بن عبد السلام ص٩.

(٥) وفي ذلك آيات كثيرة, في الإخلاص قوله تعالى:
﴿ **فَإِذَا ركِبوا فِي الْفُلْكِ دعوا اللَه مخْلِصِين لَه الدين** ﴾[العنكبوت: ٦٥]. وقوله: ﴿ **وإِذَا غَشِـيهم مـوجٌ كَالظُلَلِ دعوا اللَه مخْلِصِين لَه الدين فَلَما نَجاهم إِلَى الْبر فَمِنْهم مقْتَصِدٌ وما يجحد بِآياتِنَا إِلَـا كُـلُ ختَارٍ كَفُورٍ**﴾ [لقمان: ٣٢].
وفي الإنابة إلى ا ﷻ قوله:﴿ **وإِذَا مس الْإِنْسان ضر دعا ربه منِيبًا إِلَيهِ** ﴾ [الزمر: ٨].
وفي كشف الضر, قوله: ﴿ **وإِن يمسسك اللَه بِضر فَلَا كَاشِفَ لَه إِلَا هو**﴾ [الأنعام: ١٧]،
وفي التضرع والدعاء قوله:﴿ **فَإِذَا مس الْإِنْسان ضر دعانَا** ﴾ [الزمر: ٤٩]، وقوله: ﴿ **وإِذَا مسكُم الضر فِي الْبحرِ ضلَ من تَدعون إِلَا إِياه**﴾[الإسراء: ٦٧]. وقوله:﴿ **بلْ إِياه تَدعون فَيكْشِفُ ما تَدعون إِلَيهِ إِن شَاء**﴾ [الأنعام: ٤١]. وقوله: ﴿ **قُلْ من ينَجيكُم مِن ظُلُماتِ الْبر والْبحرِ تَدعونَه تَضـرعًا وخُفْيـةً**﴾ [الأنعام: ٦٣].

ومن عاين تلك المحن، تزين بالحلم وتجمل بالعفو واستجمع الصـفات المطلوبـة لبنـاء شخصية من حمل أمانة التكليف وعليه تبعات الاستخلاف[1]؛ فحال الشدة والبلوى مقبلة بالعبد إلى ا ﷻ،

وحال العافية والنعماء صارفة له عنه ﷻ [2].

والإمامة في الدين، والرياسة في الدنيا، لا ينالها إلا من أصابته المحن وصمد لها؛ وذلـك ليتأهل للقيام بالمسؤولية؛ لهذا كان الأنبياء والأولياء أكثر من أصابتهم المحـن والبلايـا؛ ليعدوا للمهام التي سيكلفون بها، فهذا إبراهيم ﷺ ابتلاه ا ﷻ: ﴿ **وإذ ابتلى إبراهيم ربـه بكلمات** ﴾: ﴿ **وإبراهيم الذي وفى**﴾ [النجم: ٣٧] اسـتحق تلـك الدرجـة العاليـة فـي الدين:﴿**قال إني جاعلك للناس إمامـا**﴾ [البقرة: ١٢٤][3]؛ وعندما سأل سعد رضي الله عنه رسول ا ﷺ، أي الناس أشد بلاء؟ قال: (الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى الرجل على حسب دينه...)[4].

والبلاء يطهر النفس وينقي القلب وينفي الخبث؛ فيذهب الخوف من الشخص، ويزول ضـعفه، وتقوى عزيمته، وتعلو همته. ومثل الرسول ﷺ فائدة البلاء للإنسان، بفائدة النار للذهب؛ حيث قال: (إن ا ليجرب أحدكم بالبلاء، وهو أعلم به، كما يجرب أحدكم ذهبه بالنار؛ فمنهم من يخرج كالذهب الإبريز، فذلك الذي نجاه ا تعالى من السيئات، ومنهم من يخرج كالذهب دون ذلك؛ فذلك الذي يشك بعض الشك، ومنهم من يخرج كالذهب الأسود، فذلك الذي افتتن)[5].

---

(١) الفتن والبلايا ص١٠.

(٢) قال الغزالي: (إذا رأيت ا ﷻ يحبس عنك الدنيا، ويكثر عليك الشدائد والبلوى، فاعلم أنك عزيز عنده وأنك عنده بمكان، وأنه يسلك بك طريق أوليائه وأصفيائه، فإنه يراك ولا يحتاج إلى ذلك، أما تسمع إلى قوله تعالى: " واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا "، بل اعرف منته عليك فيما يحفظ عليك من صلاتك وصلاحك، ويكثـر مـن أجورك وثوابك، وينزلك منازل الأبرار والأخيار والأعزة عنده). فيض القدير ٢٤٥/١.

(٣) قال الفخر الرازي: (إنه تعالى لما أمره ببعض التكاليف؛ فلما وفى بها وخرج عن عهدتها، لا جـرم نـال النبوة والإمامة، وهذا مما ينبه اليهود والنصارى والمشركين، على أن الخير لا يحصل في الدنيا والآخرة إلا بترك التمرد والعناد والانقياد لحكم ا تعالى وتكاليفه، وأنه تعالى حكى عنه أنه طلب الإمامة لأولاده، فقال تعالى: ﴿**لا ينال عهدي الظالمين**﴾ فدل ذلك على أن منصب الإمامة والرياسة في الدين لا يصـل إلى الظالمين, فهؤلاء متى أرادوا وجدان هذا المنصب، وجب عليهم ترك اللجـاج والتعصـب للباطـل). مفاتيح الغيب ٣٣/٤.

(٤) الحديث سبق تخريجه.

(٥) أخرجه الحاكم عن أبي أمامة رضي الله عنه، وصححه, ووافقه الذهبي, المستدرك ٣١٤/٤. وفي هذا المعنى قال علي

والمؤمن يتقلب بين المحن والبلايا، لتوقظه من غفلة النسيان، وتردعه عن طغيـان الشـهوات؛ ليعود إلى رحاب ا ﷻ، مقبلاً عليه، وضارعاً إليه، ومستعيناً به. وضرب الرسـول ﷺ مـثلاً للمؤمن في تقلبه بين المحن والبلايا؛ وآخر للمنافق في عدم إصابتها إيـاه؛ حيـث قـال: (مثـل المؤمن كالخامة من الزرع تُفيئها الريح مرة، وتعدلها مرة أخرى، ومثل المنافق كالأرزة لا تزال حتى يكون انجعافها مرة واحدة)[1].

والصبر على البلاء يصل بالعبد إلى درجة الرضا، قال الحافظ ابن رجب الحنبلي:

«الرضا فضل مندوب إليه مستحب، والصبر واجب على المؤمن حتم»[2].

والمصائب تنزل بالبر والفاجر؛ فمن رضيها فله الرضا، وهو أعظم من الجنة، ومن سـخطها فعليه السخط، وعاقبته الضنك في الدنيا، والشقاء في الآخرة، قال تعالى:

﴿ **وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ**﴾[التوبة: ٧٢] أي من جنة عدن ومساكنها الطيبة[3].

فقضاء ا ﷻ حتم، وقدره واقع، وخير للعبد أن يرضى بالحكم، ويمتثل الأمر، ويقـف عنـد النهي؛ ليكون من الناجين يوم الدين.

ﷺ: (لا تحزن بالبلاء، ولا تفرح بالرخاء؛ فإن الذهب يجرب بالنار، وإن العبد الصالح يجـرب بـالبلاء، وإنك لا تنال ما تريد إلا بترك ما تشتهي، ولن تبلغ ما تؤمل إلا بالصبر على ما تكـره، وابـذل جهـدك لرعاية ما افترض عليك) رسالة المسترشدين للحارث المحاسبي ص٥١.

[1] أخرجه البخاري عن كعب بن مالك ﷺ، كتاب المرض، باب كفارة المرض (٥٣١٩) ٢١٣٨/٥، وله شاهد عن أبي هريرة: (٥٣٢٠)، ومسلم في كتاب المنافقين, باب مثل المؤمن (٢٨١٠) ٢١٦٣/٤. والخامـة: الغصـن الرطب من النبات أول ما ينبت، تفيئها: تميلها، تعدلها: ترفعها، لا تـزال: أي قائمـة لا تلـين، انجعافهـا: انقلاعها، مسلم بشرح النووي ١٥١/١٨. وانظر فتح الباري ١٠٦/١٠، وفي صحيح مسلم عن أبـي هريـرة يرفعه: (مثل المؤمن كمثل الزرع لا تزال الريح تميله ولا يزال المؤمن يصيبه البلاء، ومثل المنـافق كمثـل شجرة الأرز لا تهتز حتى تستحصد) (٢٨٠٩)، وانظر المسند (٢٧٢١٥) ٣٨٦/٦، ومجمع الزوائد عن جابر باب مثل المؤمن مثل السنبلة ٢٩٣/٢.

[2] و قد بين الفرق بين الرضا والصبر: بأن الصبر كف النفس عن التسخط مع وجود الألم وتمني زوال الألم، والرضا: انشراح الصدر وسعته بالقضاء، وترك تمني زوال الألم) جامع العلوم والحكم ص١٣٩.

[3] الفتن والبلايا ص٢٢.

نتائج البحث:

الابتلاء من سنن ا ﷻ في خلقه، وضع البشر تحت الاختبار ليجزيهم في دار الآخرة على ما قدموا في دار الدنيا.

حقيقية الابتلاء تقوم على أن ا ﷻ عالم بما كان وبما سيكون؛ وإنما يبتلـي عبـاده لتظهـر النتيجة لغيره من المكلفين أو الملائكة؛ ولأن الجزاء على العمل لا على مقتضى العلم السابق.

ليس للمكلف أن يدخل نفسه تحت مشقة لا يقتضيها التكاليف؛ لأنها غير مطلوبة للشارع لذاتها، بل له أن يصبر على المشقة الناتجة عن التكليف الشرعية.

للابتلاء أشكال وصور، فكما يبتلى ا ﷻ العقول يبتلى النفوس، وكما يقع على الـنفس، يقـع على المال.

للمكلف أن يصبر على البلية ويشكر ا ﷻ أنها لم تكن في دينه ولم تأت أكثر مما هي عليه.

لا يتعين الخير في ما يتمناه المرء، وإنما هو في الرضا بالقضاء والقدر بعد احتساب الأجـر عند ا تعالى.

للابتلاء فوائد تعود بالنفع على المبتلى؛ فهو موقظ من الغفلة، ورادع عن الغـي، ومقـوم للسلوك.

يبتلى الرجل على حسب دينه؛ وكلما زاد إيمانه زيد البلاء عليه، ليغفر ذنبه وترفـع درجتـه وتعلو منزلته.

للبلاء أثر بارز في تكوين الشخصية؛ ففيه تربية وتأهيل للمكلف وعون على إخلاص العمـل والإنابة إلى جناب الخالق ﷻ.

المراجع

- إحياء علوم الدين، الغزالي، دار المعرفة بيروت.
- الإنسان وعدالة ا   في الأرض، د. محمد سعيد رمضان البوطي، مكتبة الفـارابي، ط٣، ١٣٩٦ - ١٩٧٦.
- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ت: عادل أحمد عبدالموجود، وعلي محمد معـوض، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٤١٣-١٩٩٣.
- بصائر ذوي التمييز في لطائف كتاب ا   العزيز، الفيروزآبادي، طبع مصر.
- تحفة الأحوذي، محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، دار الكتب العلمية.
- تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، لاهور، باكستان، ١٤٠٣ _ ١٩٨٢.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ابن جرير الطبـري، دار الفكـر، دمشـق، ١٤٠٨-١٩٨٨.
- الجامع الصحيح، البخاري، دار ابن كثير، دار اليمامة، ط٣، ١٤٠٦- ١٩٨٧ ت: د. مصـطفى البغا.
- جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، دار المعرفة، بيروت.
- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، مصورة عن طبعـة الكتب المصرية، ١٣٨٧- ١٩٦٧.
- ديوان زهير بن أبي سلمى، دار صادر، بيروت.
- روح المعاني، الآلوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- السنة، محمد بن نصر المروزي، مؤسسة الكتـب الثقافيـة، بيـروت، ط١، ١٤٠٨ ت: سالم أحمد السلفي.
- سنن أبي داود، دار الفكر، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد.
- سنن الترمذي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ت: أحمد شاكر وآخرون.
- سنن الدارمي، دار الكتاب العربي، بيروت ط١، ١٤٠٧، ت: خالد العلمي وزميله.
- السنن الكبرى للبيهقي، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ١٤١٤ – ١٩٩٤ ت: عبد القـادر عطا.

- سنن النسائي الكبرى، دار الكتب العلميـة، بيـروت، ١٤١١-١٩٩١، ت: د. عبـدالغفار البنداري.
- سنن النسائي (المجتبى) مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، ط٢، ت: عبد الفتاح أبو غدة.
- سنن ابن ماجه، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، القاهرة.
- سير أعلام النبلاء، الذهبي، مؤسسة الرسالة، دمشق، ط٩، ١٤١٢ ت: شعيب الأرنؤوط.
- شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، أبو العباس ثعلب، ت: د. فخر الدين قباوة دار الفكـر، دمشق، ط١، ١٩٨١.
- شعب الإيمان، البيهقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٠، ت: محمد السـعيد بسـيوني خليل.
- صحيح ابن حبان، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤١٤- ١٩٩٣، ت: شعيب الأرنؤوط.
- صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، ت: محمد فؤاد عبد الباقي.
- عدة الصابرين، ابن قيم الجوزية، دار الحديث، القاهرة، ط١، ١٤١٤- ١٩٩٣.
- عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم آبادي، دار الكتب العلميـة، ط٢، ١٤١٥
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، ت: محمد فؤاد عـب البـاقي، المطبعة السلفية.
- الفتن والبلايا والمحن والرزايا للعز بن عبدالسلام، دار الفكر، دمشق، الإصـدار الثـاني، ١٩٩٥، ت إياد الطباع.
- الفردوس بمأثور الخطاب، الـديلمي، دار الكتـب العلميـة، بيـروت، ط١، ١٩٨٦، ت: السيد بسيوني خليل.
- فقه السيرة النبوية، منير الغضبان، دار الفيحاء، ط١، ١٤١٧- ١٩٩٧.
- فيض القدير، عبدالرؤوف المناوي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط١، ١٣٥٦.
- لسان العرب، ابن منظور، دار صادر بيروت، ط١.
- مجمع الزوائد للهيثمي، دار الريان للتراث، القاهرة، دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٠٧.
- مختار الصحاح، أبو بكر الرازي، ت: حمزة فتح ا ، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٧ _ ١٩٨٧.

- المستدرك للحاكم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ت: مصطفى عبد القادر عطا.
- المسند، أحمد بن حنبل، مؤسسة القرطبي، مصر.
- مسند البزار، أبو بكر البزار، مؤسسة علوم القـرآن، بيـروت، ١٤٠٩ ت: د. محفـوظ الرحمن.
- مسند الحارث، الحارث بن أسامة، مركز السنة والسيرة النبوية، ت: د. حسين الباكري.
- مسند الشاميين، الطبراني، مؤسسة الرسالة، بيروت ط١، ١٤٠٥-١٩٨٤، ت: حمدي بن عبد المجيد السلفي.
- مسند الشهاب، القضاعي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠٧- ١٩٨٦، ت: حمدي بن عبد المجيد السلفي.
- مسند عبد بن حميد، مكتبة السنة، القاهرة، ١٤٠٨- ١٩٨٨ ت: صبحي السامرائي.
- مسند أبي يعلى الموصلي، دار المأمون للتراث، دمشق، ط١، ت: حسين سليم أسد.
- المعجم الأوسط، الطبراني، نشر دار الحرمين، القاهرة، ت: طارق بن عوض ا .
- المعجم الكبير، الطبراني، مكتبة العلوم والحكم، ط ٢، الموصـل، ١٤٠٤ – ١٩٨٣، ت: حمدي السلفي.
- مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، دار الكتب العلمية، طهران، ط٢.
- مفهوم الحكمة عند الشاطبي، د: تميم الحلواني (أملية).
- مكاشفة القلوب، الغزالي، ط٢، ١٣٧١- ١٩٥٢.
- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي، دار إحياء التراث العربي، ط٢، بيروت، ١٣٩٢.
- الموافقات، الشاطبي، دار المعرفة، بيروت، ت: محمد عبد ا دراز.
- الموطأ، الإمام مالك، دار إحياء التراث العربي، مصر، ت: محمد فؤاد عبد الباقي.
- نوادر الأصول في أحاديث الرسول، الحكيم الترمذي، دار الجيل، بيـروت، ١٩٩٢، ت:

د. عبد الرحمن عميرة.*

تاريخ ورود البحث إلى مجلة جامعة دمشق ٢٠٠١/١٢/٢٤